الفصل الرابع

تربية الطفل فى الفكر التربوى الإسلامى

من الواضح أن للإسلام نظرة تربوية واضحة المعالم تشكل الإطار العام للتربية التى تقوم على أساسه، وهذه التربية هى التربية الإسلامية التى من مسئولياتها تربية الأفراد على نحو ما يهدف إليه الإسلام، ولما كانت التربية لا تعنى مجرد إكساب الناشئ كماً معرفياً صغر أم كبر بسط أو عقد، وإنما تهتم بالدرجة الأولى بالإضافة إلى ذلك إكساب الناشئ بالكثير من السمات والقيم والعادات والميول ما يحيله من مجرد كائن حى يأكل ويشرب ويتناسل وينام وغير ذلك من العمليات الحيوية إلى إنسان يفكر ويتخيل ويتصور ويخطط ويدبر ويبدع ويبتكر، من مجرد كائن حى يغدو ريشه فى مهب ريح قوى الطبيعة العاتية إلى إنسان له من الإرادة ما يمكنه من تفسير هذه القوى فيما فيه مصالحه ومنافعه.

وانطلاقاً من ذلك يمكن القول أن التربية الإسلامية تعمل على تكوين الشخصية الإنسانية الإسلامية المتكاملة، ومن هنا كان اهتمام المربين بهذا المجال وبالتالى كان على الكاتب أن يوضح مفهوم التربية الإسلامية كما تناولها المربون.

لكن قبل توضيح مفهوم التربية الإسلامية ينبغى الإشارة إلى أن هناك تبايناً فى استخدام مصطلح التربية الإسلامية بين المربين والباحثين، وذلك على النحو التالى:

- بعض الباحثين استخدموا مصطلح التربية الإسلامية ليشيروا به إلى ما كان لدى المسلمين من مؤسسات تربوية، وبعض الممارسات والتوجيهات التى تتعلق بالتربية والتعليم، وكان مفهوم التربية الإسلامية يعنى لديهم تاريخ التربية عند المسلمين أو ما كان لدى المسلمين من مؤسسات تربوية ومفاهيم وطرق تدريس.

- والبعض استخدم مصطلح التربية الإسلامية بمفهوم تاريخ الفكر التربوى عند المسلمين. حيث بحثوا تحت هذا المصطلح الفكر التربوى الذى كان سود المجتمعات الإسلامية وربطوه ببعض العلماء المهتمين مثل ابن سحنون، القابسى، الغزالى، ابن سينا، ابن خلدون.
- وبعض الباحثين المحدثين والذين يهتمون بقضية التربية والتعليم. استخدموا مصطلح التربية الإسلامية ليشيروا به إلى أن التربية الإسلامية تعنى النظام التربوى الذى جاء به الإسلام ليكون أداة التغيير الثقافى والاجتماعى فى جميع المجتمعات البشرية، وأداة صياغة الإنسان وتوجيهه ورعاية جوانب سموه بما ينسجم مع فطرته. أن أنها التربية الشاملة القائمة فى كل جانب منها على الإسلام والمنبثقة أساساً من حدود الإسلام ومعاهيمه.

مفهوم التربية الإسلامية

اهتم المربون والباحثون بمفهوم التربية الإسلامية، وفيما يلى توضيح ذلك:

يرى بعض المربين أن التربية الإسلامية هى عملية ننمية وتغذية لمواهب الإنسان بصورة متزنة، وهى بهذا تتعهد بناء الإيمان والعلم والخلق والعمل الصالح بصورة متلاحمة منسجمة.

والبعض يرى أن التربية الإسلامية، هى تنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية، وتنظيم سلوكها على أساس من مبادئ الإسلام وتعاليمه بغرض تحقيق أهداف الإسلام فى شتى مجالات الحياة

ويرى البعض أن التربية الإسلامية، هى العملية المقصودة التى تستهدف المحافظة على فطرة الإنسان وإعداد شخصيته بجميع أبعادها منذ ولادته حتى وفاته وفقاً لأحكام الإسلام وتوجيهاته.

ويرى البعض أن التربية الإسلامية، تعنى الجهود المقصودة التى تبذل لإحداث تعيير مرغوب فى المواطن والوطن فى ضوء هدى الشريعة الإسلامية من ناحية، وفى ضوء روح العصر ومطالبه من ناحية أخرى.

والبعض يرى أنها تلك المفاهيم التى ترتبط بعضها ببعض فى إطار فكرى واحـ يستند إلى المبادئ والقيم التى أتى بها الإسلام والتى ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العلمية يؤدى تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام.

وعرفت التربية الإسلامية بأنها تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الصحية والعقلية والروحية والاعتقادية والأخلاقية والإبداعية، وذلك فى ضوء المبادئ العامة التى جاء بها الإسلام،وفى ضوء أساليب وطرق التربية التى بينها.

ويرى البعض أنها مجموعة من التصرفات العملية والقولية المأخوذة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية أو الاجتهاد فى ضوئها، والتى يمارسها إنسان بإرادته مع إنسان آخر بهدف مساعدته فى اكتمال جوانب نموه وتفتيح استعداداته وتوجيه قدراته وتنظيم طاقاته ليتمكن من ممارسة الأنشطة وتحقيق الغايات التى يحددها الإسلام.

وعرفت التربية الإسلامية بأنها تلك المفاهيم التى يرتبط بعضها ببعض فى إطار فكرى واحد يستند إلى المبادئ والقيم التى أتى بها الإسلام، والتى ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العلمية يؤدى تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام.

وعرفت التربية الإسلامية بأنها إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحى فى جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة فى ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التى جاء بها الإسلام، كما عرفت بأنها النظام التربوى القائم على الإسلام بمعناه الشامل.

وعرفت بأنها ذلك النظام التعليمى والتربوى الذى يستهدف إيجاد إنسان القرآن والسنة أخلاقاً وسلوكاً مهما كانت حرفته أو مهنته.

وأخيرا يرى البعض أنها النشاط الفردى والاجتماعى الهادف لتنشئة الإنسان فكرياً وعقيدياً ووجدانياً واجتماعياً وجسمياً وجمالياً وخلقياً وتزويده بالمعارف والاتجاهات والقيم والخبرات اللازمة لنموه نمواً سليماً طبقاً لأهداف الإسلام.

يتضح من التعريفات السابقة أنها تؤكد على حقيقة هامة، وهى أن التربية الإسلامية تستمد موجهاتها وفلسفتها وأهدافها من الشريعة الإسلامية، كما أنها لا تعمل فى عزلة عن التوجيهات الإسلامية سواء فى إطارها النظرى أو الجانب التطبيقى لها، كما أنها لا تقتصر على جانب واحد من جوانب الفرد وإنما تعمل على تنمية جميع جوانبه المختلفة سواء كانت الجسمية والعقلية والاجتماعية والوجدانية بهدف تكوين المواطن السليم المنتج.

هذا بالإضافة إلى أن التربية الإسلامية تربية تقوم على إرادة واعية وموجهة بمعنى أنها مقصودة، وهذا لا يمنع أن تحدث أحياناً من خلال مواقف غير مقصودة، كما أنها تعتبر تربية هادفة بمعنى أنها تمكن الإنسان من القيام بالأنشطة والممارسات المحققة لغايات الإسلام وأهدافه فى بناء الفرد والمجتمع والحضارة، وأيضاً مستمرة مع الإنسان فى جميع مراحل نموه منذ تكوينه حتى وفاته.

إن مفهوم التربية الإسلامية يتميز عن غيره من مفاهيم التربية بما يلى:

- إن التربية الإسلامية تستمد أهدافها ومناهجها وأساليبها ووسائلها من مصادر الشريعة الإسلامية.
- إن التربية الإسلامية لا تربى الفرد لهذه الحياة الدنيوية فقط بل تربيه للدنيا والآخرة.
- إن التربية الإسلامية تركز على الجانبين المادى والروحى فى الإنسان وتراعى فى ذلك الشمول والتكامل.

- إن التربية الإسلامية تتخذ من التوحيد أساساً لكل ما صاغه الإسلام للمسلمين من تشريعات واضحة وحدود صريحة وقوانين نافذة تعادلت فيها الحقوق والواجبات وتساوى فيها الجهد والجزاء، وكفلت فيها ضمانات المعيشة المادية وضمانات العدالة القانونية، وتكاملت فيها عناصر البقاء والاستمرار.

والتوحيد هنا يعنى أن يضع الإنسان خالقه أمامه فى كل سلوك يسلكه أو أمر يريده أو نية يتجه إليها.

- إن التربية الإسلامية ليست الحرية فيها حرية مطلقة يمكن للفرد أو الجماعة فيها ممارسة أى نشاط، وإنما الحرية فيها حرية مقيدة سواء أكانت حرية شخصية أو جماعية أو حضارية.

فالحرية التى كفلها الإسلام حرية كفيلة حقاً للحفاظ على إنسانية الإنسان وتلتقى مع طبيعته الخاصة وواقع فهم الإسلام.

- إن التربية الإسلامية تربية ملتزمة بالآداب والقيم الإسلامية بعكس التربيات الأخرى، ومنها مثلاً التربية التى تبرر كل وسيلة لتحقيق وحدتها ولو تم ذلك عن طريق سلطة مطلقة لحاكم جبار لا تقيم وزناً للمعايير الإنسانية أو الخلقية، مستخدماً أسلوب المصلحة والمنفعة فقط.
- إن التربية الإسلامية تنفرد بأنها تتعامل مع الإنسان من حيث هو إنسان مخلوق لله بغض النظر عن دينه أو جنسه أو عرقه أو أصله أو لغته.
- إن التربية الإسلامية تربية تتفق مع الجانب الفطرى فى الإنسان بحيث إذا خاطبت فيه هذا الجانب استجاب وأطاع ما لم يجبر على غير ذلك أو يقع تحت ضغط مؤثر يصعب التخلص منه.
- إن التربية الإسلامية تنفرد عن التربيات الأخرى من حيث أن البيت هو أهم طرق لتنشئة الطفل تنشئة سليمة.

- إن التربية الإسلامية تنفرد بأنها تريد الخير للناس جميعاً ومنطلقها الأساسى أن الإسلام يغرس فى بنية حب الخير للناس جميعاً وأن يخرجهم من الظلمات إلى النور، والوصول بهم إلى المشارف الحضارية الراقية.

وبعد التعرف على مفاهيم التربية الإسلامية ينتقل الكاتب إلى عرض رواد الفكر التربوى الإسلامى.

رواد وأعلام الفكر التربوى الإسلامى:

الباحث فى الأدب التربوى يلاحظ أن هناك العديد من الشخصيات التى ساهمت فى الفكر التربوى بآرائها وفكرها، ولهذا تجدر الإشارة إلى أشهر هؤلاء المفكرين كما جاء فى التراث التربوى. فالبعض حدد أشهرهم على النحو التالى:

ابن سحنون (ت ٢٤٠هـ) وابن محمد (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٢م) ثم الآجرى (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م) الخوارزمى (ت٣٧٧هـ/٩٩٧م) القابسى (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م) وابن الجزار القيروانى (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) وابن عفيف (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م) وحاجى خليفة (ت١٠٦٨م) وابن عبد البر (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) والزرنوحى (٥٩١هـ/١١٩٥م) وابن جماعة (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م) وابن الحاج العبدرى (ت٧٣٧هـ) والمغراوى (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) وابن حجر الهيثمى (ت٩٧٤هـ/١٥٦٧م)، هذا بالإضافة إلى برهان الدين الأقصرى والقلمونى والعاملى، وابن يحيى زكريا الأنصارى وخاشى كبرى زادة وغيرهم.

أما البعض فقد حدد أئمة الفكر التربوى الإسلامى فى سبعة أعلام وجماعة فكرية منظمة واحدة، وهم:

١- **ابن سحنون:** وهو محمد بن أبى سعيد سحنون عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخى ولد وتوفى فى القيروان (٢٠٢هـ/٢٥٦هـ) ورسالته فى التربية وهى «كتاب آداب المعلمين».

٢- **القابسى**. هو الفقيه القيروانى أبو الحسن على بن محمد بن خلف (٣٤٢هـ/ ٤٠٣هـ) ورسالته فى التربية هى «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين».

٣- **إخوان الصفا**: وهم واضعو رسائل إخوان الصفا المشهورة، وقد ازدهرت حركتهم فى القرن الرابع الهجرى.

٤- **الغزالى**: الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى النيسابورى من فقهاء الشافعية الأشعرية (٤٥٠-٥٠٥هـ) ورسالته فى التربية «أيها الولد»، ولكنه عالج التربية فى كتابه الأكبر «إحياء علوم الدين».

٥- **الطوسى**: الشيخ أبو عبد الله نصير الدين الطوسى محمد بن محمد بن الحسين الطوسى (٥٩٧-٦٧٢هـ) الفلكى الرياضى الفيلسوف مؤسس أكبر مرصد فى العالم الإسلامى مرصد مراغة، أما رسالته فى التربية فهى «كتاب آداب المتعلمين».

٦- **ابن جماعة**: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن حزم بن صقر قاضى القضاة بدر الدين الكنانى الحموى الشافعى (٦٣٩-٧٣٣هـ) ورسالته فى التربية هى «تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم».

٧- **ابن خلدون**: عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى التونسى (٧٣٢-٨٠٨هـ) وقد اشتهر ابن خلدون بـ«المقدمة» التى وضعها لكتابه المعروف فى التاريخ باسم «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر»، وفى هذه المقدمة شرح ابن خلدون آرائه التربوية.

٨- **ابن حجر الهيثمى**: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى من إقليم الغربية فى مصر حيث ولد عام (٩٠٥هـ) وتوفى فى مكة

ودفـن فيهـا عـام (٩٧٤هـ) ورسـالته فـى التربيـة هـى « تحريـر المقـال فـى آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال ».

ومن الملاحظ أن الكاتب قد برر هذا الحصر لهؤلاء العلماء فى أنهم قد كرسوا فكرهم وجهدهم لتكوين آراء وأفكار ورسائل متكاملة فى التربية من حيث طبيعتها ومقوماتها الاجتماعية والنفسية والأخلاقية.

والبعض حدد المفكرين المسلمين طبقاً للموقع الجغرافى وذلك على النحو التالى:

- فمـن أشهر الفلاسـفة المسلمين الذين برزوا فى الشرق الإسلامى أبـو يوسـف يعقـوب بـن إسـحاق الكنـدى (١٨٥-٢٩٩هـ/ ٨٠١م-٨٣٣م) وأبـو نصـر محمـد الفـارابى (٢٦٠-٣٣٩هـ/ ٨٧٤-٩٥٠م)، وأبـو الحسـن بـن عبـد الله بـن سـينا (٣٧٠-٨٢٤هـ/ ٩٨٠-١٠٣٧م) وأبو على أحمد بن يعقوب بن مسكويه (٣٢٠-٤٢١هـ/٩٣٢-١٠٣٠م) وأبـو حامـد محمـد بـن محمـد الغـزالى (٤٥٠-٥٠٥هـ/ ١٠٥٨-١١١١م).
- ومن أشهر الفلاسفة المسلمين الذين برزوا فى المغرب الإسلامى محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبى المتوفى (٣١٩هـ/٩٣١م) وابن حزم الأندلسى الظاهرى المتوفى عام (٤٥٦هـ)، وعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى (٤٤٤-٥٢١هـ)، وأبـو بكـر محمـد بـن يحيـى بـن الصـائغ المعـروف بـابن باجـة المتـوفى (٥٣٣هـ/١١٣٨م) وأبو بكر بن طفيل المتوفى عام ٥٨١هـ/١١٨٥م) والوليد محمد بن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ/ ١١٢٦-١١٩٨م) والفيلسوف الصوفى محى الدين بن عربى المتوفى (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) وفيلسوف الاجتماع والتاريخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ/١٣٣٢-١٤٠٦م).

وأخيراً قسم البعض المفكرين الإسلاميين « أعلام الفكر التربوى الإسلامى » طبقاً للمنهج الذى انتهجوه فى التربية وذلك على النحو التالى:

- أعلام نهجوا فى التربية منهج أهل السنة فى:

أ - الاعتماد على الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة.

ب- احترام الإجماع والقياس.

ومثل هؤلاء: ابن سحنون، الزرنوجى، القابسى، ابن عبد البر.

- أعلام نهجوا فى التربية منهج أهل الفلسفة:

حيث جمعوا بين المنهج الإسلامى والمنهج السياسى ومنهج الفلسفة اليونانية.

ومثل هؤلاء: الفارابى، ابن سينا، ابن مسكويه، إخوان الصفا.

- أعلام نهجوا فى التربية منهج المتصوفين:

يمثلهم الإمام الغزالى.

- أعلام نهجوا فى التربية منهج المذهب الاجتماعى:

ومثل هؤلاء: ابن خلدون، ابن حجر الهيثمى.

يتضح من ذلك أن هناك العديد من أعلام الفكر التربوى الإسلامى، ومن الصعب عند دراسة الفكر التربوى الإسلامى من منظور هؤلاء الأعلام كلهم فى دراسة واحدة. ولذا فإن الكاتب سيأخذ فى دراسته الحالية بالتقسيم الأخير « طبقاً للمنهج الذى أتبعه هؤلاء الأعلام »، واختار أربعة أعلام فقط وهم القابسى باعتباره ممثلاً للذين نهجوا منهج أهل السنة، وابن سينا باعتباره ممثلاً للذين نهجوا منهج أهل الفلسفة، والإمام الغزالى باعتباره ممثلاً للدين نهجوا منهج الصوفية، وابن خلدون باعتباره ممثلاً للذين نهجوا منهج المذهب الاجتماعى.

وقبل أن يتناول الكاتب جوانب تربية الطفل من منظور الفكر الإسلامى (ممثلاً فى آراء وأفكار الأعلام الأربعة) ينبغى الإشارة إلى كل واحد منهم فى نبذة مختصرة.

١- القابسى:

هو أبو الحسن على بن محمد خلف المعافرى المعروف بالقابسى ولد بالقيروان سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م) وتوفى عام (٤٠٣هـ/١٠١٣م).

ولم يكن أبو الحسن قابسياً وإنما كان له عم يشد عمامته ضد القابسيين فسمى بذلك، وهو قيروانى الأصل، وقد أجمع الذين ترجموا للقابسى على أنه كان حافظاً للحديث إماماً فيه عالماً بمتونة وأسانيده، معروفاً بالصلاح والتقوى والورع، وكان يجمع بين العلم والعبادة، كثير الخشية من الله تعالى، رقيق القلب، نزيه النفس، محباً للفقراء.

وله مؤلفات كثيرة تصل إلى خمسة عشرة كلها فى الفقه والحديث والمواعظ باستثناء واحد أفرده القابسى لشئون التعليم فى الإسلام، هى رسالته المتصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين.

٢- ابن سينا :

هو أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا المعروف بالشيخ الرئيس، لقب بالشيخ لمكانته العلمية، ولقب بالرئيس لاشتغاله بالسياسة، وتقلد الوزارة مرتين فى همذان، ويذكر أنه ولد عام (٣٧٠هـ) والبعض يرى أنه ولد عام (٣٧٥هـ)، وتوفى فى يوم الجمعة الأولى من شهر رمضان عام (٤٢٨هـ) فى همذان.

وأرجح الأقوال أنه ولد فى قرية أفشنة على مقربة من بخارى عام (٣٧٠هـ/٩٨٠م) من أسرة إسماعيلية تهتم بالعلوم العقلية والمباحث الفلسفية، مما كان له أثره على حياة ابن سينا العلمية.

وقد حفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات، واطلع على كثير من الأدب، ودرس الفقه على يد أبى محمد إسماعيل بن الحسينى المعروف بالزاهد، من أشهر الفقهاء الحنفيين، ثم درس المنطق والفلسفة، ثم درس ابن سينا بنفسه علم الطب دراسة عميقة أتاحت له أن يصبح أشهر أطباء عصره، كما اشتغل بالمعالجات المقتبسة من التجربة، ثم أخذ يدرس الفلسفة بكل أجزائها دراسة عميقة، وقد تتلمذ على الفارابى فى كتبه.

أهم مؤلفاتـــه: لابن سينا العديد من المؤلفات من أهمها: الشفاء، النجاة، الإشارات والتنبيهات، الهداية، عيون الحكمة، حد الجسم، النفس الفلكية، النهاية واللانهاية، الفلك والمنازل/ المختصر فى علم الهيئة، الفصول الثلاثة، تفسير أية ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ ، المسائل الحكمية، أقوال الشيخ فى الحكمة، رسالة الأجرام العلوية، رسالة فى إبطال أحكام النجوم، رسالة عن علة قيام الأرض فى وسط السماء، المباحثات، الإنصاف، إيضاح البراهين فى مسائل عويصة، التعليقات، رسالة فى الحدود، أقسام العلوم العقلية، رسالة فى أجوبة مسائل سأل عنها أبو يحان البريونى، جواب لسؤال بعض المتكلمين.

ومن أهم مبادئه التربوية ما يلى: شمولية التربية، مراعاة استعدادات الطفل الفطرية وغرائزه الطبيعية، التنشئة الاجتماعية والتربية الأخلاقية، التوجيه والإرشاد المناسب، المربى وخصائص المعلم الناجح، القدوة فى التربية.

٣- الإمام الغزالى:

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالى، ولد بطوس من أعمال خراسان فارس عام (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، ومن المرجح أن تسميته بالغزالى ترجع إلى مهنة والده وهى غزل الصوف، وهناك من يقول أنها نسبة إلى غزالة وهى بلد ينسب إليها، ويعتبر الغزالى من أكبر مفكرى الإسلام المدافعين عنه،ولذا سمى بحجة الإسلام.

توفى والده وهو صغير، وأوصى أحد أصدقائه من الصوفية بأن يقوم على تربيته وأخيه، وقد اهتم الصوفى بذلك حتى نفد المال الذى خلفه الأب فنصحهما بالالتحاق بإحدى المدارس التى كانت توفر لتلاميذها العلم ومصروفات الحياة، ويبدو أن تعليم الغزالى الأولى قد بدأ حوالى السابعة من عمره وشمل إتقان اللغتين العربية والفارسية والقرآن الكريم ومبادئ الدين، كما درس الفقه والتفسير والحديث، وفى الخامسة عشرة من عمره رحل إلى جورجان لدراسة الفقه ثم عاد

إلى طوس، ثم بعد ثلاث سنوات رحل إلى نيسابور حيث درس الفقه والكلام والمنطق، ثم بدأ ينغمس فى السياسة والاتصال بالحكام وعمره ثمانية وعشرون عاماً تقريباً إذ سافر إلى نظام الملك الوزير السلجوقى.

درس الغزالى الفلسفة بعمق خلال قيامه بالتدريس فى المدرسة النظامية فى بغداد وكانت المؤثرات الصوفية كثيرة وقوية فى حياة الغزالى، فالعصر الذى يعيش فيه انتشر فيه التصوف، والأب المحب للصوفية، والوصى الصوفى، والأخ الذى تصوف فى فترة مبكرة والأساتذة الذين يميلون إلى التصوف، ونظام الملك الوزير الذى كان يقرر الصوفية، ثم دراسة التصوف، كل ذلك من شأنه أن يدفع الغزالى التى التصوف.

وترك الغزالى ما يزيد عن سبعين مؤلفاً فى الدين والفلسفة والجدل، ومـــن أهم مؤلفاته:

- إحياء علوم الدين وهو كتاب جامع فى الكلام والفقه والأخلاق.
- أيها الولد: رسالة كتبها لأحد تلاميذه إجابة لبعض مسائل توجه بها إليه.
- تهافت الفلاسفة، وهو الكتاب الذى دحض به الفلاسفة.
- المنقذ من الضلال، وصف فيه الغزالى حياته الفكرية فى تطورها من الدراسة المستفيضة إلى الشك والخيرة ثم اليقين وطمأنينة النفس.

٤- ابن خلدون:

يعتبر عبد الرحمن بن محمد بن خلدون من الشخصيات الإسلامية فى فترة العصور الوسيطة، ولد فى تونس عام (٧٣٢هـ/١٣٣٢م) وتوفى بالقاهرة ودفن فى مقابرها عام (٨٠٨هـ/١٤٠٦م).

حفظ القرآن الكريم، ودرس علومه، كما درس الحديث الشريف والفقه والأصول واللغة والأدب والتاريخ، يضاف إلى ذلك كله دراسة المنطق والفلسفة.

لقد جلس ابن خلدون للتدريس فى أكثر البلدان التى حل بها،وكانت المساجد الكبرى والمدارس الشهيرة دون سواها مقاراً لحلقات دروسه.

ومن أهم الأماكن التى قام بالتدريس فيها جامع القرويين فى فاس، والجامع الأزهر فى القاهرة، المدرسة القمحية بجوار جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط، والمدرسة الظاهرية البرقوقية فى حى بين القصرين فى القاهرة المعزية.

وقد قسم البعض حياة ابن خلدون العلمية والعملية إلى أربع مراحل متميزة:

- المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والتلمذة والتحصيل العلمى، واستغرقت حوالى عشرين عاماً تمتد منذ نشأته حتى عام (٧٥١هـ) قضاها فى حفظ القرآن الكريم وتجويده والتلمذة على الشيوخ وتحصيل العلم.
- المرحلة الثانية: مرحلة الوظائف الديوانية والسياسية، واستغرقت زهاء خمسة وعشرين عاماً تمتد ما بين عام (٧٥١هـ إلى عام ٧٧٦هـ) قضاها متنقلاً بين بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، وبعض بلاد الأندلس، وقد استأثرت الوظائف الديوانية والسياسية بعض وقته وجهوده فى هذه المرحلة.
- المرحلة الثالثة: مرحلة التفرغ للتأليف واستغرقت نحو ثمان سنين تمتد حتى سنة (٧٨٤هـ) تفرغ فيها تفرغاً كاملاً لتأليف كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، وهو تاريخ شامل لأخبار العرب وأجيالهم منذ بدء الخليقة إلى العصر الذى عاش فيه ابن خلدون، ويطلق على القسم الأول من هذا الكتاب مقدمة ابن خلدون.
- المرحلة الرابعة: مرحلة وظائف التدريس والقضاء واستغرقت حوالى أربعة وعشرين عاماً، وتمتد حتى وفاته عام (٨٠٨هـ) قضاها كلها فى مصر.

وتقوم رؤية ابن خلدون فى التعليم على مجموعة من المبادئ الأساسية، من أهمها:

الأول: إن الاستعداد والقبول لتلقى العلم ينشآن تدريجياً فى حياة المتعلم، إذ يكون المتعلم فى أول الأمر عاجزاً عن الفهم المجرد، فلابد من تقريب المعلومات إلى ذهنه بالأمثلة الحسية.

الثانى: هو أنه إذا حصل الدارس على ملكه ما (قدرة) فى علم من العلوم استعد بها لتقبل العلم الذى يليه، بل إنه غالباً ما يطلب المزيد منه.

الثالث: إن التعليم ينبغى أن يكون بالتشويق والترغيب حتى لا ينفر الدارس من تلقى العلم.

الرابع: أن على الدارس أن يتابع تحصيله وينمى فكره، فإن المتابعة تثبت المعرفة، وتجعل الدارس قادراً على متابعة فكره وتجديده وتحديثه.

الخامس: إن الدارس ينبغى عليه ألا يشتت ذهنه بين مسألتين مختلفتين بحيث يصعب عليه فهمهما فى آن واحد، لذا ينصح ابن خلدون أن يتفرغ الدارس لتناول مسألة واحدة قبل الانتقال إلى المسألة الثانية بحيث يصبح الانتقال من مسألة إلى أخرى بعد فهم تام للمسألة السابقة.

السادس: إن ابن خلدون يحث على التدرج مع التكرار فى تلقين المعلومات للدارس على أن يكون التعليم شيئاً فشيئاً، فيلقى على الدارس مسألة ما ثم يعاد تكرارها حتى يحفظها تماماً، ثم بعد ذلك تعطى له مسألة أخرى، وهكذا يكون التكرار وسيلة لتثبيت المعلومات الماضية والتقدم للحصول على المعلومات القادمة.

الســـابع: إلزام التلميذ لكى يكثر من الحفظ عن ظهر قلب لا يحقق الغرض من التعليم ويرى ابن خلدون اتباع الحوار والنقاش والمناظرة كلها وسائل تكسب الدارس القدرة على استيعاب درسه وتجعله قادراً على الإفادة منه.

الثامن: ألا يلجأ إلى الشدة لأن فى ذلك عيب فى نشأة الصغار ويجعلهم يستعينون بالكذب والمكر والمخادعة ليتلافوا العقاب الذى ينتظرهم.

التاسع: أنه لا يجوز اختصار الكتب الكبيرة والمجلدات فى كتب موجزة وملخصات مختصرة لأن ألفاظ الموجزات والمختصرات تصبح غير واضحة للدارس فيصعب فهمها ويقل إدراكها.

ومن أهم المبادئ التربوية التى نادى بها ابن خلدون، أهمية الإعداد التربوى للمعلم وضرورة إلمامه بفن التربية وطرق التدريس،وقدرته على فهم وإدراك نفسية الأطفال واستعدادهم ومواهبهم ومهاراتهم، وأن يكون المدرس قدوة، عدم إرهاق المتعلمين بمعلومات دراسية فوق طاقتهم، وضرورة التهيئة والتشجيع، ضرورة مراعاة التدرج والتكرار كأساسيات للتعليم، ربط التعليم بالأمثلة المحسوسة البسيطة، الاهتمام بالرحلات والنقاش بين المعلم والتلميذ، الإطالة وعدم التقصير فى المواد التعليمية لأن الإطالة تعمل على تثبيت المعلومات فى ذهن التلاميذ، أهمية التفاهم والود بين المعلم والتلاميذ.

الملامح الفلسفية للتربية الإسلامية :

من الملاحظ أن الإنسان هو المحور الذى تدور حوله التربية الإسلامية ومنهجها، لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تعمل على تمكين الإنسان من مواجهة الحياة مواجهة قائمة على المعرفة والتجربة، وبذلك يتمكن الإنسان من أن يأخذ من مادية الحياة ومن الروحانية مع الإرادة الحرة ما يمكنه من الحفاظ على التوازن ليس فى ذاته فحسب بل فى ممارسته فى الحياة، ولذلك فإن التربية الإسلامية اتسمت بالملامح الفلسفية التالية:

- أن الإنسان يعيش فى بيئة اجتماعية إنسانية وهو مسئول عنها بما وهبه الله من عقل إنسانى يمكنه من تقييم هذه البيئة وتوجيهها نحو الخير من جهة، كما

يمكنه من إيجاد مجتمع يعنى بمستقبل الإنسان والجنس البشرى وتوجيهه نحو الخير من جهة أخرى.

- أن البيئة الطبيعية للإنسان، أو ما يمكن أن يطلق عليه « الكون » سخره له ليكشف أسرار الحياة والكون بعقله وتفكيره، وإنجازه المادى. فلا قيود على طاقات الإنسان وقدراته فى الإبداع فى الحياة.
- أن السلام والعدل والمحبة فى نظر الإسلام هى قيم إنسانية منسجمة مع رسالة الإيمان بالخالق، كما أنها من متطلبات الحضارة الإنسانية التى تهدف الرسالة الإسلامية إلى توجيهها لتكون تحضيرية للبشر وتعمر به الأرض.
- أن المجتمع البشرى هو الإطار الذى تعمل فيه الرسالة الإسلامية ومنهج التربية الإسلامية. ولابد أن تتجه التربية الإسلامية فى المجتمع البشرى نحو القيم الإنسانية العليا من خلال المجتمع الإسلامى لمكانته ودوره القيادى. فمكانته فى المجتمع البشرى تنبثق من مكانة الأمة الإسلامية، أما الدور القيادى للمجتمع فيتمثل فى مهمة إبراز القيم الإسلامية فى واقع الحياة ليكون نموذجاً حياً لحقيقة الإنسان المستخلف فى الأرض.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن التربية الإسلامية انفردت ببعض السمات التى تميزها عن غيرها، ويمكن تلخيصها على النحو التالى:

١- أهداف التربية الإسلامية واضحة ومحددة خاصة تلك التى لا تتأثر بتغيير الزمان والمكان، وهى العبودية للخالق والعلاقة بين الخالق والمخلوق.

٢- لا تفصل التربية الإسلامية الجانب التعبدى عن الجانب الاجتماعى، حيث لا تفصل بين الدنيا والدين وبين الجانب الجسمى والعقلى والروحى.

٣- ترتكز التربية الإسلامية على الجانب الأخلاقى والفطرة، فتؤكد على التربية الأخلاقية فى علاقتها بالدين، إلى جانب أن الأخلاق فى الإسلام فردية واجتماعية.

٤- ترتكـز التربيـة الإسـلامية علـى التـوازن بـين المطالـب الفرديـة والمطالـب الاجتماعية، وتهتم بالأسرة وتجعلها المحور الأساسى لتكوين المجتمع.

٥- تؤكد التربية الإسلامية على أهمية تربية الضمير أو الرقيب على النفس حتى لا تخرج عن قيم الإسلام وجادة الطريق مرتبطة بمهيمن أعلى هو الله، فالسلوك ينبع داخلياً، والتربية الإسلامية توجه سلوك الفرد سواء فى داخل الأسرة أو خارجها، فما هو محمود فى الأسرة محمود فى النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى، فهناك قيم ثابتة كالصدق والوفاء والأمانة والتعاون والتراحم والمحبة لا تتغير بتغير الزمان والمكان فى مفهوم التربية الإسلامية.

٦- تكمن سمات التربية الإسلامية فى كونها مستمدة من الشريعة الإسلامية التى هى شريعة إلهية تتضمن نظاماً تربوياً فى انسجام مع بقية النظم الأخرى.

وإنطلاقاً من ذلك يمكن القول أن التربية الإسلامية محددة المعالم والملامح، واضحة الأهداف، لا تقتصر على الفرد فقط أو على المجتمع فقط، بل شاملة لكليهما، تعمل على إحداث التغيير فى المجتمع عن طريق التغيير فى نفوس الأفراد، وقد وضح بعض المربين أن التربية الإسلامية تختلف عن أشكال التربية الأخرى، وتتميز عنها بخصائص مشتقة من خصائص الإسلام نفسه، وقد حددها على النحو التالى:

١- التربية الإسلامية تربية ربانية، فالتربية الإسلامية ربانية من حيث:

أ- البداية.

ب- الهدف والغاية.

جـ- أساليبها ومصادرها ووسائلها.

٢- التربية الإسلامية ثابتة الأسس.

٣- التربية الإسلامية موافقة الفطرة.

٤- التربية الإسلامية شاملة لكل جوانب الحياة باعتدال وتوازن وطبقاً لهذه الخاصية فهى:

أ - تنمى الطاقات الفكرية.

ب- تربى الميول والدوافع الفطرية.

جـ - تشمل جميع الطاقات الانفعالية والعاطفية وتوجهها باعتدال وتوازن.

د - توازن بين العواطف والانفعالات الدينية ذاتها.

هـ - توازن بين العقل والعاطفة فتربيهما معاً.

و - توازن بين الإيمان والعمل.

ز - توازن بين النزعة الفردية والنزعة الاجتماعية.

٥- التربية الإسلامية موحدة للطاقات البشرية.

٦- التربية الإسلامية تربية عالمية.

٧- التربية الإسلامية متفائلة إيجابية فعالة.

وهكـذا يتضـح أن الفكـر التربـوى الإسـلامى يتميـز بالعديـد مـن الملامـح والسمات المختلفة والتى ينفرد بها عن غيرها من الفلسفات الأخرى، كما أضاف بعـض المربين إلى هـذه السـمات بعـض المميـزات التـى تميـز بهـا الفكـر التربـوى الإسلامى حددها على النحو التالى:

١- شموله واتساع نظرته، فقد نظر إلى الإنسان موضوع التربية ككل أو ككيان متكامل له جسد وعقل وشعور وإحساس ولكل من ذلك حاجاته التى يجب أن تشبع، وهذا الكيان المتكامل جزء من كيان أكبر هو المجتمع.

٢- عمقه فقد كان يعتمد على مصادر متعددة يبنى بها نفسه، فلم يحصر نفسه فى إطار واحد من المعرفة وإنما انطلق فى كل حال يبحث عن ذلك الحق، وتلك الحقيقة الذين وهبا لهما نفسه.

٣- أصالته، فقد كان يبحث عن الحق والحقيقة بدافع من الإسلام، وفى ظله وظل أيديولوجيته، حلاً لمشكلاته ومشكلات أبناء المجتمع الإسلامى.

مفهوم التربية من منظور رجال الفكر التربوى الإسلامى :

هناك العديد من التعريفات للتربية عند بعض العلماء المسلمين، من هذه التعريفات ما يلى:

- يرى ابن سينا أن التربية عادة، ويقصد بالعادة فعل الشئ الواحد مراراً كثيراً وزماناً طويلاً فى أوقات متقاربة.
- ويرى الأصفهانى أن التربية هى إنشاء الشئ حالاً فحالاً إلى حد التمام.
- ويرى البيضاوى أن التربية هى تبليغ الشئ إلى كماله شيئاً فشيئاً.
- أما عبد الله دران فيرى أن التربية هى تعهد الشئ ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية والأخذ به فى طريق النضج والكمال، الذى تؤهله له طبيعته. والتربية الإنسانية هى التى تتناول قوى الإنسان.
- ويرى ابن مسكويه، أن التربية عبارة عن تعود، فهى أدب الشريعة والأخذ بوظائفها وشرائعلها حتى يتعودها الطفل.
- وفى موضع آخر عرفها بأنها تطبيع الإنسان بالفضائل وتنقيه من الرذائل.
- الملاحظ أن معنى التربية عند رجال الفكر التربوى الإسلامى يتفق إلى حد كبير مع ما يراه علماء وفلاسفة التربية الغربيين، حيث يرى كارل مانهايم أن التربية هى إحدى وسائل تشكيل السلوك الإنسانى كى يتلائم مع الأنماط السائدة للتنظيم الاجتماعى.
- أما إميل دور كايم فيرى أن التربية هى العمل الذى يمارسه أجيال الراشدين على أجيال لم يتم نضجها بعد للحياة الاجتماعية.
- ويرى سبنسر أن التربية هى الإعداد للحياة العامة.
- ويرى جون ديوى أن التربية هى الحياة وليست الإعداد للحياة، فهى عملية نمو وتعلم وبناء وتجديد مستمرين للخبرة وأنها عملية اجتماعية.

وتوجد بعض المصطلحات التى استخدمها رجال الفكر التربوى الإسلامى فى كتاباتهم للدلالة على معنى التربية والتى يمكن توضيحها على النحو التالى:

- **التنشئة:** ويقصد بها تربية ورعاية الإنسان منذ الصغر ولذلك يقال نشأ فلان وترعرع أى تربى.
- **الإصلاح:** ويعنى التغير إلى الأفضل وهو ضد الإفساد، ويقصد به العناية بالشئ والقيام عليه، وإصلاح اعوجاجه، والإصلاح يقتضى التعديل والتحسين، ولكن لا يلزم منه النماء والزيادة، فهو إذا يؤدى جزءاً من مدلول التربية.
- **التأديب والأدب:** ويقصد به التحلى بالمحامد من الصفات والطباع والأخلاق والابتعاد عن القبائح.ويتضمن التأديب معنى الإصلاح والنماء، وقد أشار بعض المربين إلى ذلك بقوله، عند قدماء العرب كانت كلمة تأديب هى المستعملة والمتداولة أكثر من كلمة تربية، وكان المدلول الأول لكلمة أدب فى تلك البيئة العربية يطلق على الكرم والضيافة، فكان يقال فلان أدب القوم إذا دعاهم إلى طعام.وهكذا كان مدلول كلمة تأديب منصرفاً بالدرجة الأولى إلى الجانب السلوكى من حيث علاقة الإنسان مع غيره.

وهنا يلاحظ أن كلمة الأدب والتأديب وثيقة الصلة بكلمة تربية حيث يمكن أن تشتق منه تسمية المعارف آداب، وتسمية التعليم تأديباً، وتسمية المعلم أو المربى مؤدباً، وهذا المصطلح شاع استخدامه بين رجال الفكر التربوى الإسلامى مثل ابن سحنون.

- **التهذيب:** ويقصد به تهذيب النفس البشرية وتنقيتها وتسويتها بالتربية على فضائل الأعمال ومحاسن الأقوال، وجاء فى معجم الوجيز رجل مهذب بمعنى مطهر الأخلاق وهذب الصبى، أى رباه تربية خالصة من الشوائب.

- **التطهير**: ويقصد به تنزيه النفس عن الأدناس والدنايا وهى كل قول أو فعل قبيح، وحيث أن للتطهير معنيين أحدهما حسى مادى والآخر معنوى، فإن المقصود به هنا المعنى المعنوى والذى يقصد به تطهير سلوك الإنسان من كل فعل أو قول مشين.
- **التزكيـــة**: وتأتى بمعنى التطهير ولعل المقصود بذلك تنمية وتطهير النفس البشرية بعامة من كل ما لا يليق بها من الصفات السيئة والخصال القبيحة ظاهرة كانت أو باطنة.

إن مصطلح تزكية يُعد أكثر المصطلحات قرباً فى معناه لمصطلح التربية الإسلامية خاصة وأنه ورد فى بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث يدل على معنى التربية، ولكونه يدل على محاسبة النفس والعناية بها والعمل على الارتقاء بجميع جوانبها الروحية والجسمية والعقلية إلى أعلى المراتب وأرفع الدرجات، وفى هذا الصدد يقول الغزالى، التزكية هى أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية بل تكاد التزكية والتربية تترادفان فى إصلاح النفس وتهذيب الطباع، وشد الإنسان إلى أعلى كلما حاولت المثبطات والهواجس أن تنسف به وتعوج.

- **التعليم**: استخدم هذا المصطلح رجال الفكر التربوى الإسلامى كثيراً، وبالرغم من أن مصطلح التعليم شائع الاستعمال فى كتابات علماء الفكر التربوى الإسلامى لكن من الملاحظ أن استخدامه كان مقصور على تنمية الجانب المعرفى المتمثل فى طلب العلم.
- **السياسة**: ويقصد بها القيادة وحسن تدبير الأمور فى مختلف شئون الحياة. وتأتى بمعنى القدرة على التعامل أو الترويض، وقد استخدمه بعض رجال الفكر التربوى الإسلامى بمعنى التربية.

- **النصــح والإرشــاد.** وهذا المصطلح يعنى بذل النصـح للآخرين ودلالتهم على الخير وإرشادهم إليه. وقد استخدم هذا المصطلح الإمام الغزالى.
- **الأخلاق:** يقصد بهذا المصطلح إصلاح الأخلاق وتقويم ما انحرف من السلوك. وبالرغم من أن هذا المصطلح يهتم فى الواقع بجانب من جوانب التربية. الا أنه قد يستخدم للدلالة على التربية بصفة عامة.

يتضح من ذلك أن المترادفات التى استخدمها علماء المسلمين للدلالة على أن معنى التربية تدور حول معنى تنمية وتنشئة ورعاية النفس البشرية وسياستها والعمل على إصلاحها وتهذيبها وتزكيتها وتأديبها والحرص على تعليمها ونصحها وارشادها من أجل تحقيق التكيف المطلوب والتفاعل الإيجابى لجميع جوانبها المختلفة مع ما حولها ومن حولها من كائنات ومكونات.

أهداف التربية فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى:

الباحث فى الأدب التربوى يلاحظ أن هناك اهتماماً واضحاً بالهدف من التربية فى الإسلام. وقد وضح ذلك المفكرون المسلمون. فيرى القابسى أن الغرض من التربية هو إعداد الطفل وتنشئته على تعاليم الدين الإسلامى ليكون إنساناً صالحاً فى حياته وآخرته.

ومن الملاحظ أن عملية الإعداد هذه تتم بإرسال الأطفال إلى الكتاب، ومن هنا جعل القابسى من تعليم القرآن الكريم غرضاً هاماً لتعليم الصبيان. وبالتالى كان القرآن ضرورة لمعرفة الدين والصلاة لا تتم إلا بقراءة شئ من القرآن وهى مفروضة على المسلمين لأنها ركن من أركان الدين، وهو يتفق مع غيره من علماء المسلمين فى أن الغرض الأول هو معرفة الدين علماً، وعملاً. أو نظراً وتطبيقاً وممارسة.

ويشير البعض إلى أن القابسى يرى أن الغرض من التعليم يتمثل فى:

- معرفة الدين علماً وعملاً ابتغاء مرضاة الله.
- سعادة الوالدين بما حصله ولدهما من أبواب العلم والمعرفة.

- يعلم الصبيان مع القرآن القراءة والكتابة والخط والحساب والآداب.
- تتعلم البنت وحدها.

من هنا يتضح أن الغرض من التربية عند «القابسى» هو الدين والدنيا.

ويرى «ابن سينا» أن هدف التربية هو نمو الفرد نمواً كاملاً ومن جميع النواحى النمو الجسمى والنمو العقلى والخلقى. ثم إعداد الفرد لكى يعيش فى المجتمع ويشارك فيه بعمل أو حرفة يختارها وفق استعداده ومواهبه هو.

يتضح من ذلك أن «ابن سينا» يرى أن الهدف من التربية هو النمو المتكامل للطفل وإعداده للحياة لكى يكون مواطناً صالحاً فى المجتمع. وتعليمه مهنة بناء على قدراته واستعداداته. وفى هذا إشارة إلى التوجيه المهنى فى التعليم.

ويرى بعض الباحثين أن أهداف التربية عند الإمام الغزالى تتمثل فى:

أ - التقرب إلى الله دون التطلع إلى مظاهر الدنيا الفانية، ودون المنافسة التى تؤدى إلى الكراهية والبغضاء. وفى ذلك يقول: «إن الغرض بطلب العلوم التقرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة».

ب- طلب العلم عند الغزالى غاية ووسيلة، غاية فى ذاته، ووسيلة إلى الدار الآخرة، وذريعة إلى القرب من الله تعالى. فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم فهو أشرف وأفضل الأعمال.

جـ - القيم لبناء الإنسان الأخلاقى، وذلك باستخراج الأخلاق السيئة وغرس الأخلاق الحسنة فى الإنسان وبناء الفضيلة ولزوم الاحترام فى الطبائع.

د - التعليم أشرف المهن، فالغزالى يرى أن التعليم أفضل صناعة يستطيع الإنسان أن يتخذها حرفة له.

يتضح من ذلك أن الغاية من التربية هى التقرب إلى الله ﷻ والدليل على ذلك طلب العلوم ومحاسن الأخلاق. وفى نفس الوقت لم يرفض الغزالى الهدف

التربوى والتثقيفى من التعليم، ففى كلامه عن قيمة دراسة العلوم، يذكر من بين ما يذكر مدى منفعتها للإنسان فى حياته الدنيا، ويمثل لها بعلوم الطب والحساب والصناعات، ومدى منفعتها للإنسان فى تثقيفه واستمتاعه وتدحها فى حياته الاجتماعية، ومثل لها بالشعر والتاريخ والسياسة.

ومن الملاحظ أن الهدف الأسمى من التربية عند الغزالى هو تكوين المؤمن الفاضل الذى يستطيع أن يتغلب على بدنه ومعوقاته، وبالتالى يستطيع أن يصل إلى سيطرة الروح على البدن سيطرة تؤدى إلى معرفة هذا العالم.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف قام الإمام الغزالى بتصنيف العلوم إلى تصنيفات مختلفة، وقسمها أقساماً مختلفة موضحاً أن بعض هذه العلوم هو الذى يؤدى إلى الوصول إلى الحقيقة اليقينية، وأن بعضاً منها يكون مذموماً، ومن هنا لا يجب أن يعلم للمسلم، كما أن هناك علوماً تعتبر فرض عين على المسلم، وأن هناك علوماً تعتبر فرض كفاية إذا قام بها فرد سقطت عن بقية أفراد المجتمع.

أما ابن خلدون فقد جاءت رؤيته لأهداف التربية من منظور معين، وهى أنه إذا كان الإنسان عاجزاً عن أن يعيش دون أن يعتاد عادات المجتمع الذى نشأ فيه وأن يلم بكل الفنون والعلوم أو ببعضها، فمن الضرورى إعداد الإنسان منذ الطفولة لمثل هذه الحياة المعقدة، ولذلك فهو يرى أن غاية التربية هى إعداد أفراد يستطيعون سياسة الحياة، وهدف التربية الأسمى أن ينظر الفرد إلى غيره نظرة إنسانية باعتباره منتمياً إلى الجنس البشرى.

من هنا يمكن القول أنه من الواضح أن ابن خلدون يركز فى أهدف التربية على الجانب الدنيوى، ولكن من الملاحظ أنه يرى أن الغرض من التربية تحقيق الهدف الدينى وهو العمل للآخرة، فالهدف العملى وهو العمل للدنيا، مسترشداً بقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾.

يتضح مما سبق أن أهداف التربية فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى لم تهتم بجانب واحد من جوانب الإنسان. وما يؤكد ذلك أن التربية عند ابن سينا لم تغفل الحديث عن النمو الجسمى وكل ما يتصل به من رياضة بدنية وطعام وشراب ونوم ونظافة ولم تستهدف فقط النمو العقلى وجمع المعلومات، وكذلك لم تركز على الجانب الأخلاقى فقط. بل استهدفت وجود الشخصية المتكاملة جسماً وعقلاً وخلقاً. كما أن هدف التربية عند القابسى لا يركز على الناحية النظرية فى حياة الفرد المسلم، وإنما اهتم بالجانب التطبيقى عن طريق الممارسة. كما أنها لم تركز على الجانب الدينى، كما يتصور البعض، وإنما تهتم بالجانب الدينى والدنيوى، كما اتضح من آراء كل من الغزالى وابن خلدون. فالواضح أن أهم أهداف التربية فى الفكر الإسلامى هو: الهدف الإنسانى التربوى.

ومن الملاحظ أن أهداف التربية فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى تتفق إلى حد كبير مع رؤية رجال التربية المعاصرين لأهداف التربية فى الإسلام، ويؤكد ذلك ما يراه بعض المربين من أن هدف التربية فى الإسلام هو: تنشئة الأطفال والشباب على معرفة الدين وحسن الخلق وعدم الإهمال فى إقامة الشعائر الدينية من صلاة وصيام وزكاة وحج، وإقامة لروابط الأخوية والعلاقات الطيبة بين الفرد وبقية الأفراد واحترام الناس وأعمالهم.

والملاحظ أيضا أن هدف التربية هنا ليس تربية الفرد تربية دينية فقط، وإنما أيضاً تربيته تربية دنيوية قائمة على أساس الدين. ويؤكد ذلك ما يراه البعض من أن هدف التربية فى الإسلام هو التربية الخلقية بمعنى تنمية أخلاقيات معينة لدى الإنسان أى تنمية عادات سليمة تتفق مع الفكرة الإسلامية من الإنسان ليسير عليها فى حياته.

وإذا كانت أهداف التربية فى الفكر التربوى الإسلامى تهتم بشخصية الإنسان ككل فإن هذا يتفق مع ما يراه رجال التربية المعاصرين، حيث يرى البعض أن هدف التربية فى الإسلام هو أن يصير الإنسان- كل إنسان- عابداً، ذلك هو الهدف الكلى للتعليم والتربية فى الإسلام.

ويؤكد ذلك ما يراه البعض من أن هناك أربعة أهداف أو أغراض أساسية للتربية الإسلامية وهى:

- التثقيف العقلى والإعداد الفكرى، فالإسلام ينظر إلى الكون نظرة تعقل وتدبر وتأمل ويأمرنا الله تعالى أن نتفكر فى خلق السماوات والأرض، وأن نعتمد على عقولنا للوصول إلى الإيمان بالله تعالى، وبهذا كان الإعداد الفكرى والاستفادة من المعلومات من أهم ما حض عليه الإسلام.
- تنمية القوى والاستعدادات الطبيعية للطفل، فالإسلام دين الفطرة لأن تعاليمه ليست غريبة عن الطبيعة الإنسانية بل هى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تعقيد فيها ولا خرافة كل شئ فيها منطقى موافق لحاجة البشر محققاً لمصالحهم، وقد اعتبر الإسلام أن مهمة المربى تقوية فطرة المولود أى الاستعدادات الطبيعية وتجنبها الزلل وعدم الانحراف عن برائتها واستقامتها.
- الاهتمام بقوة النشء وحسن تربيته أياً كان جنسه ذكراً أو أنثى.
- العمل على توازن جميع القوى والاستعدادات الإنسانية.

مؤسسات التربية:

الباحث فى الفكر التربوى الإسلامى يلاحظ اهتمام المفكرين الإسلاميين بالأسرة ودورها فى تربية الأطفال، فالتربية عند الإمام الغزالى تبدأ بالأسرة حيث أن الطفل أمانة فى عنق والديه وعلى يديهما تتشكل شخصيته، فعلى الوالد أن

يؤدب ابنه ويهذبه ويتعهده بالرعاية والتعليم ويعلمه آداب المائدة والسلوك القويم وحسن معاملة الناس وينشئه تنشئة خشنة وغير مدللة.

ومن هنا يتضح أن الإمام الغزالى أدرك أهمية التربية الأولى للطفل فى حياته المستقبلية. فعلى قدر نوعية الخبرات والمثيرات التى يمتصها من أسرته بنشأ سليم النفس طاهر العقل أو العكس بالعكس. ومغزى ذلك أن الغزالى يبرز أهمية البيئة الأسرية على تنشئة الطفل إما نحو الخير أو الشر، الفضيلة أو الرذيلة الحق أو الباطل، الجمال أم القبح، العدل أم الظلم.

وفى ذلك يقول الغزالى « أن الصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش وماثل إلى كل ما يمال به إليه ».

وتأكيداً لذلك يرى البعض أن الإمام الغزالى وضع بعض التوجيهات لتسترشد بها الأسرة فى تربية أطفالها فهو يرشدها إلى: ضرورة صيانة الطفل عن قرناء السوء ورفاق الانحراف، وذلك بحسن توجيهه وإرشاده وتهذيبه وتعليمه الخلق الفاضل وتعويده الاعتدال فى المأكل والملبس ومباهج الحياة. كما حذر الغزالى من تعهد رعاية الطفل إلا لمرأة صالحة متدينة تتمتع بعادات وأخلاق حسنة، ويرى الكاتب أن هذا سيساعد الطفل على التنشئة الأخلاقية الحسنة الحميدة.

ولم يغفل رجال الفكر التربوى الإسلامى عن العلاقة بين الوالدين أو ما نسميه بالتماسك الأسرى وأثر ذلك على تنشئة الطفل، وفى هذا الشأن يشير ابن سينا إلى أهمية الاستقرار العائلى فى تربية النشء تربية سليمة، ويتضح ذلك من آراءه. فقد طالب بثبات الصلة بين الزوجين وحذر من خطورة الطلاق لأنه يؤدى إلى تمزيق الأسرة أو على حد قوله إلى تشتيت الشمل الجامع للأولاد ووالديهم، أو إلى تجدد احتياج كل إنسان إلى المزاوجة وفى ذلك أنواع من الضرر كثيرة، كما وضع ابن سينا بعض الشروط التى تحقق العلاقة الزوجية المستقرة فهو يرى أن من

أسـباب دوام الصـلة بـين الـزوجين المحبـة. والمحبـة لا تنعقـد إلا بالألفـة. والألفـة لا تحصل إلا بالعادة. والعادة لا تحصل إلا بطول المخالطة.ويطالب أيضاً بعدم التسرع فى طلب الطلاق من أحد الزوجين. كما أنه لا يجب أن يسند إلى المرأة أمر الطلاق. وهكذا يحذر ابن سينا من التسرع أو العجلة أو الطلاق (افتراق الزوجين) ويطالب بضرورة التفكير الطويل، ويحاول إزالة أسباب الفرقة حتى ينشأ الأولاد نشأة سليمة.

ومن مؤسسات تربية الطفل أيضاً الكتاب ويرى البعض أن مرحلة الكتاب تعد أول مرحلة فى السلم التعليمى المعروف، وتعتبر هذه المرحلة بداية التعليم المنظم للطفل.

ويـرى «القابسـى» أن الكتـاب كـان ومـا يـزال بيئـة طيبـة صـالحة لبنـاء ديمقراطية التعليم فى أجمل صورها.

ويرى «الغزالى» أن الصبى يلحق بالكتاب قبل بلوغ الحلم وقبل التكليف، وهناك يتعلم القرآن والأحاديث والأخبار وحكايات الابرار لينغرس فى نفسه حب الصـالحين، وفـى الوقـت نفسه يجب أن يمنـع مـن حفـظ الأشـعار التـى يـذكر فيهـا الفسق، كما يحفظ من مخالطة من يزعمون أنهم ظرفاء ويتصفون برقة الطباع لأن هذا يغرس فى قلوب الصبيان بذور الفساد.

يتضح من ذلك أن الغزالى لم يحدد سن معينة من التعليم، وإن كان قد أشار إلى أن هذه السن هى قبل بلوغ الحلم، كما يتضح من ذلك أن هناك دعوة فى التبكير فى التعليم، وإن كان البعض يرى أن سن السابعة التى يحددها الشرع لقيام الطفل بتأدية الصلاة هى مؤشر لتحديد سن التعليم، حيث يفترض أن يكتسب الطفل فى هذه السن مهارات لغوية وعملية وحركية تمكنه من تأدية الصلاة بطريقة صحيحة.

ومن الواضح أن رجال الفكر التربوى الإسلامى يرون أن سن التعليم يتحدد بالسادسة من عمر الطفل، فيقول «ابن سينا» وإذا أتى عليه من سن ست سنين فيجب أن يقدم إلى المؤدب والمعلم. وقد حدد الأسباب التى جعلته يرى أن هذه السن مناسبة للتعليم. فقال «عندما تشتد مفاصل الصبى ويستوى لسانه ويتهيأ للتلقين ويعى سمعه».

وإنطلاقاً من ذلك يمكن القول أن ما نادى به رجال الفكر التربوى الإسلامى من بداية تحديد لسن التعليم للطفل وهو سن السادسة يتفق مع الاتجاهات التربوية المعاصرة حيث أن كثيراً من الأنظمة التربوية الحديثة والمعاصرة تأخذ به.

بعض جوانب تربية الطفل فى ضوء الفكر التربوى الإسلامى:

تربية الطفل جسمياً وصحياً:

اهتم رجال الفكر التربوى الإسلامى بتربية الطفل من الناحية الجسمية والصحية، بالإضافة إلى اهتمامهم بجوانب تربيته الأخرى وذلك بعد الولادة مباشرة، إذ يرى «ابن سينا» أنه يجب العناية بصحة الطفل منذ أن يولد فيقول: «فإذا ولد فيجب أن يبدأ أولاً بقطع سرته فوق أربعة أصابع وتربط بالصوف النقى فتل فتلاً لطيفاً كى لا يؤلم، وإذا أردنا أن نقمطه فيجب أن تبدأ القابلة بأن تمس أعضائه بالرفق فتعرض ما يستعرض وتدق ما يستدق، وتشكل كل عضواً على أحسن شكله، كل ذلك بغمز لطيف بأطراف الأصابع، وتتولى فى ذلك معاودات متتالية وتديم مسح عينيه بشئ كالحرير».

فابن سينا يعتبر أبرع من بحث فى التربية الجسمية للطفل وربما يرجع هذا إلى كونه طبيباً بارعاً يعرف ما يحفظ صحة الجسم واعتدال المزاج.

ويشدد «ابن سينا» على الاستمرار فى العناية بصحة الأطفال الجسمية حتى سن الرابعة عشرة من عمرهم، وينصح بأن يتدرجوا فى تقليل الرياضة وهجر المنفعة منها ما بين سن الصبا إلى سن الترعرع ويلزمون المعتدل.

كما يتمثل الاهتمام بالعناية الجسمية والصحية للطفل فى العديد من الوسائل التى حددها رجال الفكر التربوى الإسلامى وذلك على النحو التالى:

١- الاستحمام:

فقد اهتم «ابن سينا» باستحمام الطفل ووقته وعدد مرات الاستحمام وكيفيته إذ يقول: «يجب أن يكون استحمامه بالماء المعتدل وبالمائل إلى الحرارة الغير لازعة شتاء وأصلح وقت يغسل ويستحم فيه هو بعد نومه الأطول وقد يجوز أن يغسل فى اليوم مرتين أو ثلاثة أو أن ينتقل بالتدريج إلى ما هو أقرب إلى الفتور إن كان الوقت صيفاً».

ومن هنا يتضح الاهتمام البالغ بالعناية الجسمية للطفل بعد الولادة مباشرة والإرشاد الواضح إلى المحافظة على نظافته، والإكثار من استحمامه فى اليوم الواحد مع مراعاة درجة حرارة الماء لجسمه.

٢- الرضاعة الطبيعية:

أولى رجال الفكر التربوى الإسلامى الرضاعة الطبيعية للطفل عناية بالغة الاهتمام، يمكن أن تتخذ نبراساً وهدى فى الوقت الحالى، فقد نبه ابن سينا إلى أهمية لبن الأم فى نمو الطفل، كما حدد لنا عدد مرات الرضاعة، وينصح ابن سينا بأن الأم لا ترضع ولدها عقب الولادة مباشرة حتى يعتدل مراجها من أثر عملية الولادة ذاتها.

ويرجع هذا الاهتمام إلى الحفاظ على صحة الطفل الوليد، والحفاظ عليه من تأثر المؤثرات الخارجية على أمه، أما فى حالة عدم استطاعة الأم من إرضاع ولدها أو منعها مانع من الرضاعة، يرى رجال الفكر التربوى أن تختار له مرضعة حفاظاً على صحة الوليد الجسمية، فقد حدد «ابن سينا» بعض الشروط التى يجب توافرها فى المرضعة، وتشمل:

- السن والصحة والكمال.
- حسنة اللون.
- قوية العنق والصدر.

- حسنة الأخلاق، بعيدة عن الانفعالات النفسية، رديئة الغضب، وغير ذلك مما يفسد المزاج.
- أن يكون صدرها مكتنزاً عظيماً وأن يكون قوام لبنها معتدلاً.
- أن تمارس الرياضة بصورة معتدلة وتغذى بأغذية جيدة.
- أن يجتنب شئ من لبن الأم قبل الإرضاع الأول بصفة خاصة ويسيل، وتستعين الأم على ذلك بالضغط على ثديها بأصابعها لئلا يضطر الطفل إلى شدة المص فيتألم حلقة وآلات المرئ وأن يلعق ملعقة من عسل، فهو نافع، ومن المفيد كذلك مزج العسل بقليل من الشراب.
- لا ترضع الأم وليدها لبناً كثيراً دفعة واحدة بل يرضع قليلاً قليلاً، فإن إرضاعه اللبن دفعة واحدة حتى يشبع ربما ولد تمدداً أو نفخة وكثرة رياح وبياض بول، فإن عرض ذلك فيجب ألا يرضع ويجوع جوعاً شديداً ويستغل بنومه إلى أن ينهضم ذلك.
- فى اليوم الثالث يكون إرضاعه أكثر من اليومين السابقين حيث يرضع ثلاث مرات.
- إذا أصاب المرضع مزاج ردئ أو علة مؤلمة أو إسهال كثير أو احتباس مؤذى فمن المفيد إرضاع الطفل من امرأة أخرى.
- إذا بكى الطفل قبل إرضاعه فهو مفيد له إذا كان بكاءاً يسيراً.
- مدة الرضاع سنتان وهى المدة الطبيعية.
- يمكن إعطاء الطفل غير اللبن إذا استساغ ذلك وليكن ذلك بصورة تدريجية.
- يغذى بغير اللبن إذا بدأت ثناياه بالظهور بالتدريج ولا يعطى شيئاً صلب المضغ وأول ما يعطى الخبز نمضغه لرضع ثم خبز بماء وعسل أو بشراب أو بلبن.
- وبعد فطامه يغذى بما هو من جنس الإحساء واللحوم الخفيفة وأن يكون الفطام بالتدريج لا دفعة واحدة.
- لا يحوز حمله على القعود أو المشى بالشدة وانما يترك إلى طبيعته.

- عند بدء زحفه على الأرض يجب أن يكون مقعده على بساط أملس لئلا تخدشه خشونة الأرض. ويجب إبعاد الأشياء المؤذية عن وجهه ويديه ويبعد عن مواضع التزلق العالية.

يتضح من ذلك أن ابن سينا نبه على بعض المواصفات الخاصة التى يجب توافرها فى المرضع والخطوات التى يجب اتباعها فى عملية الرضاعة حتى الفطام، وذلك حفاظاً على صحة الطفل الجسمية والنفسية وحتى ينمو سوياً سليماً وصحيحاً.

ومن المواصفات التى نادى بتوافرها فى المرضع أيضاً، ما يلى:

- السن، فقد حدد ابن سينا سن من تقوم بعملية الرضاعة بأن يكون ما بين خمسة وعشرين سنة إلى خمس وثلاثين سنة حيث إن هذا سن الشباب والصحة والجمال.
- الهيئة. حدد ابن سينا بعض الشروط والمواصفات الواجب توافرها فى هيئة المرضعة فذكر أنه يجب أن تكون حسنة اللون، قوية العنق والصدر، وسعته، عضلانية، صلبة الجسم، متوسطة فى السن، والهزال. لحمانية لا شحمائية. وأما هيئة ثديها فإنه يجب أن يكون ثديها مكتنزاً عظيماً وليس مع عظمه بمسترخ. ولا ينبغى أن يكون فاحش العظم ويجب أن يكون معتدلاً فى الصلابة واللين.
- صفة اللبن. أما عن صفة اللبن وكيفية التعرف على مدى جودته فذكر ابن سينا أن يكون قوامه معتدلاً ومقداره معتدلاً ولونه البياض. ورائحته طيبة لا لون فيه ولا عفونة. وطعمه إلى الحلاوة ولا مرارة فيه ولا ملوحة ولا حموضة وإلى الكثرة ما هو وأجزاؤه متشابهة فهيئته لا يكون رقيقاً سيالاً ولا غليظاً جداً جبنيا ولا مختلف الأجزاء ولا كثير الرغوة فإن اللبن المحمود هو المتعادل الجبنية والمائية.

أما ابن القيم فيرى أنه ينبغى أن يكون رضاع المولود من غير أمه بعد وضعه يومين أو ثلاثة وهو الأجود لما فى لبنها ذلك الوقت من الغلظ والأخلاط بخلاف لبن

من قد استقرت على الرضاع، وهذا عكس ما تراه الأبحاث الطبية المعاصرة حيث أثبتت أن اللبن الذى يتناوله الرضيع فى أيامه الأولى إنما يحتوى على الإنزيمات والعصارات ما يصلح الجهاز الهضمى للطفل ويحميه من التلوث.

كما يرى ابن القيم أن تمام الرضاع حولين كاملين وذلك حق للولد إذا احتاج إليه، أن الأبوين إذا أراد فطامه قبل ذلك يكون بتراضيهما وتشاورهما مع عدم مضرة الطفل فلهما ذلك، إن الأب إذا أراد أن يسترضع لولده مرضعة اخرى غير أمه فله ذلك، ويجوز أن تستمر الأم على رضاعه إلى نصف السنة الثالثة.

وبالنسبة لوقت الفطام يرى ابن القيم أن أنسب وقت لفطام الطفل هو وقت الخريف لأن الهواء فيه أبرد، والحرارة العزيزية تنشأ فيه وتنمو، والهضم يزداد قوة وكذلك شهوة الطعام.

وبالنسبة لملبس الطفل فابن القيم يحذر من إهمال القماط للرضيع ورابطه ولو شق عليه أن يصلب بدنه وتقوى أعضائه ويجلس على الأرض، ويدرب على الحركة والقيام قليلاً إلى أن تصير له ملكة وقوة يفعل ذلك بنفسه.

وبالنسبة لظروف الطفل الصحية فإن ابن القيم ينهى حمل الأطفال فى المرحلة المبكرة والتطواف بهم حتى يأتى عليهم ثلاثة أشهر فصاعداً لقرب عهدهم ببطون أمهاتهم وضعف أبدانهم.

ويرى ابن القيم ضرورة مراعاة الظروف النفسية للطفل حتى لا تؤثر على صحته، حيث يحذر من تحميل الطفل من الإعياء ما هو فوق طاقته أو لا يتناسب مع سنه، أو محاولة قمع رغباته بوضع معوقات تحول دون نموه نمواً طبيعياً، فيقول ومما ينبغى أن يحذر حمل الطفل على المشى قبل وقته لما يعرض فى أرجلهم بسبب ذلك من الانتقال والاعوجاج بسبب ضعفها.

ويرجع الاهتمام بالرضاعة الطبيعية لما لها من فوائد متعددة، منها:

- **فائدة صحية**: فائدة للطفل وتتمثل فى إشباعه وبناء جسمه وإكسابه مناعة ضد الأمراض المختلفة، وفائدة بالنسبة للأم وتتمثل فى أن عملية الرضاعة

تساعد رحم الأم على العودة إلى وضعه الطبيعى، وتقليل الإصابة بسرطان الثدى.

- **فائدة اجتماعية:** وتتمثل فى أن الرضاعة الطبيعية تعد من مظاهر السعادة والاستقرار فى الأسرة، كما أنها تمنع الحمل إلى حين الفطام، وبالتالى تعد أحد الوسائل الطبيعية لتنظيم النسل.
- **فائـدة نفسـية:** وتتمثل فى أن عملية الرضاعة الطبيعية تعمل على تلبية حاجة الطفل إلى الارتباط النفسى مع المرضع، وهذا يعد أحد العوامل الأساسية فى الاستقرار النفسى للطفل وأيضاً الأم.

ومن الملاحظ أن المفكرين المسلمين اهتموا بعملية فطام الطفل وطريقته، وذلك حفاظاً على جسم الطفل، فقد حدد بعض المربين المسلمين الشروط الصحيحة للفطام هى:

- يجب أن يكون الفطام تدريجياً وذلك لتجنب مضرة الانتقال بالطفل من العادة والألفة مرة واحدة.
- يجب التدرج فى غذاء الطفل الفطيم، بمعنى عدم ملء بطن الطفل من الطعام، كما يجب تجنب الأغذية المضرة بصحة الطفل حتى لا يصاب بالإمساك.
- يجب التعامل مع الطفل بلطف وحنان حتى يمكن مساعدته على تجاوز خبرة الفطام دون متاعب أو آلام.
- يجب تجنب التبكير فى الفطام أو إجبار الطفل عليه حتى لا يشعر الطفل بالحرمان من الحنان، وبالتالى ينعكس على شخصيته وسلوكه.

٣- اللعب:

اهتم رجال الفكر التربوى الإسلامى باللعب والتربية الرياضية لما لها من أثر واضح على الناحية الجسمية والصحية للطفل، فابن سينا يرى ضرورة اللعب والرياضة من مرحلة الطفولة المبكرة لما لها من فوائد تربوية، فيقول ابن سينا وإذا

انتبه الصبى من نومه ، فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يطعم شيئاً يسيراً ثم يطلق له اللعب الأطول ثم يستحم ثم يغذى. فالألعاب ضرورية فى حياة الطفل يكتسب عن طريقها المهارات البدنية والحركية المختلفة، فيتعلم كيف يعيش فى جماعة ويستفيد من تلك الحياة.

كما يرى ابن سينا أن اللعب يعمل على علاج الأطفال فى كثير من الأمراض الجسمية والمزاجية، وأن اللعب يأتى فى مقدمة الأمور التى يجب الاهتمام بها من أجل العناية الجسمية والصحية وهى الغذاء والنوم، ثم وضح أنواعه، ولذلك فهو يقول:

أ - الرياضـة هـى حركـة إراديـة تضـطر إلى التـنفس العظـيم المتـواتر والموفـق لاستعمالها على جهة اعتدالها فى وقتها به غناء من كل علاج تقتضيه الأمراض المادية والأمراض المزاجية، وبين كيف أن ترك الرياضة يؤدى إلى تراكم الفضلات فى الجسم ويؤدى ذلك إلى الأمراض المختلفة.

ب- أنواع الرياضة ويرجعها إلى نوعين أساسيين، هما:

- منها ما هو رياضة يدعو إلى الاشتغال بعمل من الأعمال الإنسانية.
- منها ما هو رياضة خالصة، وهى التى تقصد بأن تكون رياضة خالصة فقط، وتتحرى منها منافع الرياضة ولها فصول منها ما هو قليل، ومنها ما هو كثير، ومنها ما هو قوى وشديد وسريع وبطئ وحثيث، أى مركب من الشدة والسرعة، ومنها هو ما هو متراخ. ومن أنواع الرياضة المنازعة والملاكمة وسرعة المشى، والرمى عن القوس، وركوب الخيل.

كما اهتم ابن سينا بموضوع ملازم للرياضة وله درجة من الأهمية وهو الدلك، ويرى أن الغرض منه تكثيف الأبدان المتخلخلة وتصليب اللينة، وخلخلة الكثيفة، وتليين الصلبة، ويوضح أن هناك أقساماً للدلك، حيث يرى أن أنواع الدلك هى:

- الدلك الصلب، يشد العضلات، الدلك اللين فيرخى العضلات.
- الدلك الكثير يؤدى إلى إزالة السمنة.
- الدلك المعتدل وهو الدلك المخصب كما يسميه.
- وقسم الدلك بحسب الأداة المستخدمة إلى قسمين، هما:
- الدلك الخشن، أى بخرقه خشنة فيجذب الدم إلى الظاهر سريعاً.
- الدلك الأملس،ويكون بالكف أو بخرقة لينة فيجمع الدم ويحبسه فى العضو.

وفى موضع آخر قسم ابن سينا الدلك من حيث علاقته بالرياضة، وهذه الأقسام هى:

- دلك الاستعداد وهو قبل الرياضة ويبتدئ ليناً ثم يشتد إذا قرب وقت الرياضة.
- دلك الاسترداد، ويكون بعد الرياضة ويسمى الدلك المسكن والغرض منه تحليل الفضول المحتبسة فى العضل مما لم يستفرغ بالرياضة لينعش فلا يحدث الإعياء، وهذا الدلك يجب أن يكون رقيقاً معتدلاً وأحسنه ما كان بالدهن.

ويرى ابن سينا أن الدلك الصلب والخشن إذا أفرط فيه فى الصبيان منعهم من النمو.

ولاشك ما نادى به ابن سينا من أهمية الدلك أخذ به الطب الحديث فى العصر الحالى، حيث يعتمد عليه فى صحة الجسم وعلاج الأمراض.

ويرى ابن مسكويه بالنسبة للتربية الجسمية، أنه يجب العناية بالجسم، وأن العناية به واجبة لما لها من فوائد تعود على الطفل، كما أنه لها آدابها والتى ينبغى على الطفل تعلمها.

كما اهتم ابن مسكويه باللعب، حيث ينصح بإتاحة الفرصة للطفل كى يلعب فى بعض الأوقات، غير أن هذا اللعب ينبغى أن يكون لعباً جميلاً ليستريح به من تعب التعليم والآداب على ألا يكون فى هذا اللعب ما يرهق الطفل أو يؤلمه.

ويرى أن الرياضة البدنية هامة للجسم حيث ينبغى أن يعود الصبى على المشى والحركة والركوب حتى لا يتعود الكسل ذلك لأن أنواع الرياضات المختلفة تطرد البلادة وتبعث النشاط وتزكى النفس، ويحذر من النوم الكثير حيث أنه يؤدى إلى الكسل وغلظ الذهن، كما يميت الخاطر، ومن الضرورى أن يمنع الصبى من نوم النهار.

أما الغزالى فقد أولى اللعب اهتماماً خالصاً نظراً لأثره فى تقوية الجسم وفى تنشيط ذهن المتعلم وحيويته، وفى ذلك يقول « ويعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل »، وفى موضع آخر يقول: « وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب التعلم بحيث لا يتعب فى اللعب، فإن منع الصبى من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاؤه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه ».

ويشير البعض إلى أن الغزالى يرى أن للعب ثلاث وظائف أساسية، فاللعب يساعد على ترويض جسم الصغير وتنمية عضلاته وتقويتها، كما أنه يساعد على إدخال السرور فى قلب الصغار، وثالثاً فهو يريح الصبية من تعب الدروس فى الكتاب.

يتضح من ذلك أن المفكرين التربويين الإسلاميين اهتموا بصحة الطفل الجسمية وذلك لإشباع حاجاته من الطعام والعناية بنظافته ونومه ومشيه، كما اهتموا بصحته النفسية، وهذا واضح من حرصهم على اعتدال مزاج الأم قبل الرضاعة، وعلى اشتراط الأخلاق الحسنة فى المرضعة حتى لا ينتقل سوء المزاج وردئ الأخلاق إلى الطفل عن طريق الرضاعة.

التربية العقلية للطفل:

التربيـة العقليـة هـى تكـوين فكـر الطفل بكل مـا هـو نـافع مـن العلـوم الدينيـة والثقافـة العلميـة والعصـرية والتوعيـة الفكريـة والحضـارية حتـى ينضـج فكريـاً، ويتكون علمياً وثقافياً. فالتربية العقلية تعتبر عملية توعية وتثقيف وتعليم.

ولهذا اهتم رجال الفكر التربوى الإسلامى بالعقل وقد عبروا عن اهتمامهم بـه بالحكمة القائلة «العقل السليم فى الجسم السليم»، ومن هنا كان الاهتمام بالجسم وتخفيـف الأعبـاء عنـه ليساعد العقل على الدرس والتدريس والتعلم والتعليم، كما راعى رجال الفكر التربوى الإسلامى الاستعداد العقلى للطفل عند التعلم، كما يرون أن يكون التعليم مناسباً لعقل الطفل، فيرى ابن سينا بأنه إذا تهيأ الطفل للتلقين أخذ فى تعليم القرآن وصورت لـه حروف الهجاء، وينبغى أن يروى الرجز ثم القصيدة، ويبدأ ما قيل من فضيلة الأدب، ومدح العلم، وبر الوالدين، وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

يتضح من ذلك أن «ابن سينا» اهتم بالتعليم الحسى كما راعى التدرج فى التعليم من البسيط إلى الصعب.

ومن الملاحظ أن ابن سينا اهتم بمراعاة ميول الأطفال فى تعليمهم من أجل نبوغهم وتحقيق أفضل ما يمكن تحقيقه لأنفسهم وأمتهم، وقد أشار إلى ذلك فقال إذا فرغ الصبى من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عنه ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته، فوجه لطريقة، فإذا أراد مديره به الكتابة أضاف إلى ذلك دراسة اللغة ودراسة الرسائل والخطب ومفاضلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك.

ويستطرد ابن سينا فى ذلك مع ضرب الأمثلة فيقول إن الأدب مثلاً سهل على قوم وصعب على آخرين، وإن إنساناً يختار دراسة الحساب، وآخر يختار علم الهندسة، وربما وجدت إنساناً يكره جميع الآداب والصنائع فلم يتعلق بشئ منها

بالرغم من اهتمام أهله وإنفاقهم الأموال الطائلة عليه فى سبيل تعليمه، لذلك ينبغى لمؤدب الصبيان إذا أراد اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبى ويسير قريحته، ويختبر ذكائه فيختار له إحدى الصناعات بحسب ذلك.

أما الإمام «الغزالى» فقد طلب من المعلمين، بأن يكونوا على خبرة تامة بأطوار النمو العقلى للطفل حتى يتمشى مع درجات الاستعداد العقلى لكل طفل.

فالملاحظ أن عدم مراعاة استعدادات المتعلمين، والفروق الفردية بينهم من أهم العوامل التى تنفر المتعلمين من تحصيل العلم، لأنهم إذا لم يفهموا ما يتعلمون فإنهم يحسون بالفشل وعدم القدرة على مواصلة التعليم.

ولهذا يلاحظ أن «الغزالى» نصح بعدم قهر الأطفال الصغار على استيعاب مواد تشحن بها ذاكرتهم، ولا يسهمون هم أنفسهم فى محاولة فهمها، نظراً لارتفاع هذه المعلومات عن مستواهم العقلى، مما يؤدى إلى تعطيل نموهم العقلى والخلقى، وهذا ما أشار إليه «الغزالى» عند حديثه عن اتباع طريق التدرج فى التعليم وعدم الإثقال على المبتدئين فى العلم بالتفاصيل غير المجدية فإن ذلك يدهش العقل ويجبر الذهن، ويصرف المتعلم عن الإدراك والإطلاع.

كذلك يلاحظ أنه يوصى بالانتقال من البسيط إلى المركب، حيث يرى «أن العلوم مرتبة ترتيباً طبيعياً، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج».

وينصح «الغزالى» أيضاً بعدم محاولة شحن الذاكرة بالعلوم، ويفضل أن يكون المرء لنفسه فكرة عامة عن العلوم، وله أن يشتغل بالأهم فليست المسألة كم، بل مسألة كيف.

يتضح من ذلك أن الإمام «الغزالى» أكد على ضرورة التدرج فى تعليم الطفل، وأن يبدأ معه من السهل إلى الصعب، فقد طالب المعلم ألا يخوض فى العلم دفعة

واحدة بل يتدرج فيه مع مراعاة الترتيب، ويبتدئ بالأهم، وكذلك ينبغى ألا يخوض فى علم إلا بعد أن يستوفى ما قبله.

كمـا يلاحـظ أن الإمـام «الغـزالى» أدرك أهميـة العلـوم الرياضـية والعلـوم الطبيعية فى التربية العقلية للطفل، وإن كان يرى أن يقتصد الباحثون فيها حتى لا تصرفهم عن علوم الدين وهى التى يسميها علوم الآخرة. فالمعيار إذاً يظل هو النفع الذى يعود على صاحب العلم وعلى غيره من الناس.

أمـا «ابـن خلدون» فقد أدرك أهمية التربية العقلية، ونادى بسمو تدريب العقل على الجسم، واعتبر التعليم النظرى أرقى من تعليم الفنون العملية، لأن التعليم النظرى يقوم على العقل.

كمـا يـدعو «ابـن خلـدون» إلى أهميـة النمـو العقلى لـدى المتعلمين، وأهميـة اكتمال النضج لقبول العلم والاستعداد للتعلم. كما يرى أن هذا الاستعداد يمكن أن ينمو إلى درجة تمكن المتعلم من التحصيل العلمى إلى الحد الذى يراه المعلم ضرورياً ومناسباً له. ولتنمية الاستعداد العقلى يرى «ابن خلدون» عدم الخلط بين علمين فى وقت واحد، إذ يستطيع كل متعلم أن يستوعب علماً واحداً أو أكثر. ولكن ذلك يتطلب تنظيم تعريض المتعلم لتلك العلوم. كما يرى تجنب الكتب المختصرة، إذ أن القدرات العقلية للمتعلم تتفاوت فى استيعابها للمعلومات، مما يجعل ضرورة تقديم المادة الدراسية على أكمل وجه ممكناً من قبل المعلم.

كمـا أكد «ابن خلدون» على أهمية مراعاة قوة عقل المتعلم واستعداده لأن المتعلم إذا حصل ملكه ما فى علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقى، وحصل له نشاط فى طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق حتى يستولى على غايات العلم، وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطمس فكره وبئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم.

كما أشار «ابن خلدون» إلى التعليم عن طريق المحسوسات وأهميتها فى تنمية العقل، كما أوصى الوالدان بالبعد عن التجريدات، وهو يعلل هذا الرأى بمفهومه للتعليم بأنه تعويد للتلميذ على أن يمارس فيما بعد ما تعلمه بنفسه، فبقدر ما نرسخ فيه وسائل التعليم التى تعلمها بقدر ما تتحكم فى استعماله لها عندما يكبر، والتجريد عنده لا يحقق هذا التعود بل يحققه التعليم الحسى أكثر لأن الملكة التى نريد أن نكونها فى المتعلم لها عند «ابن خلدون» دعامتان: دعامة حسية جسمية، وأخرى فكرية معنوية، ولذلك يكون نقل المعلومات إلى التلميذ بالمباشرة، أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة فى الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد مرة حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة وتقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والمعلم، فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر، وعلى قدر وجودة التعليم وملكة العلم يكون حذق المتعلم وحصول ملكته.

التربية الخلقية للطفل:

التربيـــة الخلقيـــة هـــى مجموعـــة المبـــادئ الخلقيـــة والفضـــائل الســـلوكية والوجدانية التى يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفاً شاباً. فالتربية الخلقية هى ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ والتنشئة الدينية الصحيحة والبيئة الاجتماعية السليمة.

ولهذا أولى الفكر التربوى الإسلامى تربية الطفل من الناحية الخلقية اهتماماً بالغا، ويتضح ذلك من خلال آراء المفكرين التربويين الإسلاميين. فابن سينا عرف الخلق بأنه ملكة يصدر بها عن النفس أفعال ما بسهولة من غير تقدم وروية.

ومعنى هذا أن يكون صدور هذه الأفعال عنها عادة رسخت فى النفس حتى كأنها طبيعية لها، والخلق يصدق على الخلق الحسن إذا كانت الأفعال الصادرة من النفس حسنة، وعلى الخلق القبيح إن كانت العكس

ويتضح من ذلك أن ابن سينا يعتبر الأفعال الخلقية معبرة عن الشخصية الإنسانية، بل وجزء أساسى من مكونات الشخصية، ولذا كان اهتمامه بالتربية الخلقية للطفل بعد ولادته مباشرة حيث اشترط بعض الشروط الواجب توافرها فى أخلاق من تقوم بإرضاع الطفل بأن تكون حسنة الأخلاق محمودتها، بطيئة من الانفعالات النفسانية الرديئة، من الغضب والغم والجبن وغير ذلك، فإن جميع ذلك يفسد المزاج وربما أعدى بالرضاع، ولهذا نهى الرسول ﷺ على استئظار المجنونة، على أن سوء خلقها أيضاً مما يسلك بها سوء العناية بتعهد الصبى وإقلال مداراته.

كما اهتم بتربية الطفل الخلقية بعد الفطام، حيث يرى «ابن سينا» أنه إذا فطم الصبى عن الرضاع، بدأ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة، وتفاجئه الشيم الذميمة، فإن الصبى تتبارى إليه مساوئ الأخلاق تنثال عليه الغرائب الخبيثة فما تمكن منه ذلك عليه تعود فلم يستطيع له مفارقة ولا عنه نزوعاً.

فابن سينا يهتم فى هذه الفترة بالحفاظ على أخلاق الطفل وتوفير البيئة الصالحة، والابتعاد به عن القوى والظروف التى تؤثر تأثيراً سيئاً على أخلاقه وإفساد نفسيته، ويؤكد ذلك ابن سينا فى اهتمامه بالتربية الخلقية للطفل فى مرحلة الطفولة، حيث يرى أن التربية الخلقية فى هذه الفترة (٣-٥ سنوات) لا تحدث فى تلك المرحلة عن طريق التلقين، وإنما تحدث بخلق الظروف المناسبة التى تجعل الطفل بعيداً عن الانفعالات النفسية الضارة التى قد تؤثر فى مزاجه وفى أخلاقه، وبالتالى تتحول إلى عادة أصيلة أو خلق أصيل للطفل.

ويتضح من ذلك أن «ابن سينا» أشار إلى بعض الطرق والأساليب التى تساهم فى التربية الخلقية للطفل، وقد حددها بطريقتين:

- الاهتمـام بالوسـائل الدافعـة المتمثلـة فـى القـدوة الحسـنة والبيئـة الصـالحة والتشجيع والترغيب والملاينة.
- الوسائل المانعة والاتعاظ بالغير والعقاب.

ويتضح من ذلك من رؤية «ابن سينا» بأن التربية الدينية كفيلة بتحقيق النمو الخلقى للطفل، ومن ثم وجب على المربين أن يهتموا بتكوين العادات الصالحة فى التلاميذ. كما يؤكد أهمية القدوة الحسنة فى بيئة الطفل والمحيطين به وخاصة رفاقه وأقرانه فى الدراسة، ويرى أن اجتماع الأطفال فى الدراسة يثير حماسهم وينمى فيهم الرغبة فى المباراة والمنافسة والمحاكاة، وفى ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهم مهم.

كما يرى «ابن سينا» أن هناك بعض السبل التى تساهم فى تربية الطفل خلقياً وتلك مثل الترهيب والترغيب والإيناس والإيحاش أو بالإعراض أو الإقبال وبالحمد مرة، وبالتوبيخ مرة، فإن لم تكن فى هذه الأساليب الكفاية فقد يلجأ إلى الضرب فى تأديب الصبى إذا دعت الحاجة إلى الاستعانة باليد، ولكن ينبغى الحذر الشديد فى استخدام هذه الوسيلة التى يقرها كأحد الوسائل التربوية.

كما اعتبر «ابن سينا» دراسة الشعر وما يحمله من فضائل أحد الوسائل التى تساهم فى تربية الطفل خلقياً، حيث يرى أنه يراعى فى تعليم الصبى أن يبدأ من الشعر بما قيل من فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وعيب السخف وما حث عليه على بر الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

ويرى ابن القيم أن التربية الخلقية تقع مسئوليتها على الآباء، فهو يرى أن فساد أخلاق الأطفال إنما هو مسئولية الآباء، حيث يقول وإذا اعتبرت الفساد فى الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء، وما أفسد الأبناء مثل تفريط الآباء وإهمالهم.

ويرى ابن القيم أن هناك مجموعة من الأمور ينبغى مراعاتها عند تربية الأطفال خلقياً، وهى يجب أن يتجنب الطفل إذا عقل مجالس اللهو والباطل

والغنـاء وسمـاع الفحـش والبـدع ومنطـق السـوء، فإنـه إذا علـق بسمعه عسر عليـه مفارقتـه فـى الكبر وعـز على وليـه استنفاده منـه لأن تغيير العـادات مـن أصعـب الأمـور، أن يتربى الطفل على العطـاء حيـث يقـول وينبغى لـولى الصبى أن يجنبـه الأخذ من غيره دون البذل، فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعه، ونشأ بأن يأخذ لا أن يعطى فيجب أن يعوده البذل والإعطاء، وأن يتربى الطفل على الصدق والأمانة والجد والاجتهاد والمثابرة، لذلك يقول ابن القيم يجب على الولى أن يجنب الطفل الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه السم الناقع فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة، وحرمه من كل خير، كما ينبغى أن يجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة بل يأخذ بأضدادها ولا يريحه إلا بما يجم نفسه وبدنه للشغل حيث إن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة وندم، وللجد والتعب عواقب حميدة.

أما « القابسى » فقد اهتم بتربية الطفل خلقياً، ويتفق مع « ابن سينا » فى أن التربيـة الدينيـة تحقـق الأخـلاق، كمـا أن الأخـلاق تكتسـب عـن طريـق توجيـه الأطفال والقدوة.

حيث يعتبر « القابسى » الدين أصل الأخلاق، فالدين أساس التربية الخلقية فى الإسلام، لذلك يجب أن يعمل التعليم على تهذيب الأخلاق، وأساس الأخلاق عنده الضمير الخلقى الحى المستمد من الدين، ويكون اكتساب الأخلاق عن طريق التعليم والقدوة، ولذلك كانت سيرة الرسول ﷺ ذات فائدة تعليمية خلقية عظيمة، كما يوصى المعلم بتوجيه الصبيان إلى العادات الحسنة وإبعادهم عن العادات الرذيلة، وأول الصفات الطيبة التى يتحلى بها الصبيان فى نظره الطاعة.

أمـا « ابـن مسكويه » فيرى بالنسبة للتربيـة الخلقيـة أن هنـاك مجموعـة مـن الآداب يجـب أن ينشأ عليهـا الصبى كنـوع مـن الفضـائل الشخصية والتـى تتعلـق

معاملاته مع غيره كعدم الحلف سواء كان صادقاً أم كاذباً لأن ذلك قبيح بالرجال رغم الحاجة إليه فى بعض الأوقات. والصبى ينبغى أن يتعود إلى جانب عدم الحلف قلة الكلام فلا يتكلم إلا للإجابة عن سؤال. كما يعود الاستماع إلى من هو أكبر منه. والصمت له. كما يحب منعه من خبيث الكلام ومن السب واللعن ولغو القول. ولهذا يفضل تشجيعه على حسن الكلام.

كما يرى أنه من الضرورى أن يعود الصبى على طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه، وأن ينظر إليهم بعين التعظيم والمهابة، وأن يتعود على خدمة نفسه ومعلمه وكل من كان أكبر منه.

فابن مسكويه يرى أن عملية التربية الأخلاقية تبدأ بتلقين الطفل القيم الأخلاقية التى تتضمنها الشريعة حتى يكتسب الفضائل الخلقية بالتقليد أولاً أى بالمحاكاة والمتابعة لما يستمع إليه فى دروس الدين من دعوات إلى مكارم الأخلاق. أما معرفة أسس الأخلاق وفهم أصولها فيرى ابن مسكويه أن ذلك يتم فى مرحلة تالية حيث يشترط أن يتوفر قدراً من النضج العقلى لا يتوافر للطفل فى مستهل حياته، لذلك يرى أنه ينبغى الانتظار حتى يصل الطفل إلى درجة النضوج حيث يصير لديهم الاستعداد لفهم الأسس العقلية التى يقوم عليها السلوك الأخلاقى.

أما بالنسبة لمصدر التربية الخلقية للطفل، يرى ابن مسكويه أن التربية الخلقية تستمد من مصدرين، هما:

- الدين أو التربية الدينية، إذ ينبغى أن ينبه الطفل على الفضائل ولاسيما ما يحصل له منها بالدين وبلزوم سنته.
- علم تدبير المنزل، وهذا لا يتعارض مع التعاليم الدينية، فهذا العلم يدعوا إلى مراعاة مجموعة من الآداب لا تخص طبقة فى المجتمع دون سواها، بل هى عامة تشمل أطفال الفقراء والأغنياء على السواء بغير تفرقة.

من هنا يتضح أن ابن مسكويه اهتم بالتربية الخلقية، واعتبر حياء الطفل الطريق الوحيد للسير فى طريق الكمال والعقل وفى هذا دليل على أن هذه النفس مستعدة للتأديب صالحة للعناية، ولا يجب أن تهمل أو تترك، ويرى ابن مسكويه أن دور التربية هنا هو أن تنتقل بالتأديب والمواعظ إلى الفضائل، حيث إن النفس تنتقل إلى الخير بالتدريب الصالح.

« فابن مسكويه » يؤكد على أهمية تربية الطفل أخلاقياً، وقد طالب بضرورة وضع المناهج المتنوعة له، لأن المناهج تلعب دوراً كبيراً فى التأثير على شخصية المتعلم، وفى هذا الصدد يقول فمن أنفق له فى الصبا أن يربى على أدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائعها حتى يتعودها ثم ينظر بعد ذلك فى كتب الأخلاق حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن فى نفسه بالبراهين، ثم ينظر فى الحساب والهندسة حتى يتعود هدف العدل وصحة البرهان فلا يسكن إلا إليها ثم تتدرج حتى يبلغ إلى أقصى مرتبة.

أما « ابن تيمية » يرى ضرورة مراعاة العناصر التالية فى التربية الخلقية للطفل، وهى:

- الملاحظة الدقيقة للطفل من قبل الأسرة، وتقديم العون والإرشاد النفسى الدائمين، وكذلك التعزيز فى سبيل حل المشكلات الأخلاقية التى تواجهه داخل الأسرة وخارجها.
- تأصيل القيم الأخلاقية الإسلامية بحيث تستغرق كل أبعاد شخصيته مثل قيم توحيد الله وعبادته، والقيم المرتبطة برعاية الجسم، وإشباع حاجاته، والقيم المتعلقة بالعمران وعدم التخريب، والقيم المتعلقة بالتفكير، والكرم والحلم والأمانة والمحبة والأمل والأخوة، والمعاملة الطيبة والمسئولية الاجتماعية.

- غرس القيم الإسلامية الصحيحة فى الطفل بواسطة الإرشاد اللفظى وتعليمه أن تكون حياة الرسول ﷺ والصحابة المثل الأعلى، وأن يرفض كل ما دخل على الإسلام من شوائب فكرية.
- أن يكون التعليم الخلقى منسجماً مع خبرات الطفل وسلوكه ودوافعه البيولوجية لا معاكساً لها، وأن يكون تعديل هذه الدوافع بما ينسجم مع السلوك الاجتماعى الصحيح ووضع الغرائز العدوانية لدى الطفل فى قنواتها الخيرة للسلوك الطيب.
- يعتقد ابن تيمية أن الطفل يولد صفحة بيضاء، وعلى قدر المثيرات الخلقية التى يتلقاها من البيئة التى يعيش فيها على قدر اكتسابه لقيم أخلاقية أو اتجاهه نحو الشر وهذا ما يتعلق بالأسرة.
- استخدام الثواب والعقاب، مع التأكيد على أن الثواب (التعزيز الإيجابى) أفضل من العقاب، وأحياناً يؤدى إلى تثبيت السلوك أكثر منه إلى تعديله.
- القدوة الحسنة من قبل الأبوين والمربى مهمة جداً فى مجال التربية الأخلاقية للطفل.

يتضح من ذلك أن ابن تيمية أكد على دور الأسرة وخطورته فى تربية الطفل أخلاقياً، وأن الأسرة هى الأساس وضرورة أن يكون الوالدين قدوة طيبة لأطفالهما، التأكيد على تأصيل القيم الإسلامية فى نفسية الأطفال عن طريق الإرشاد اللفظى مع مراعاة خبراتهم وقدراتهم عند تعليمهم الأخلاق، وتفضيل أسلوب الثواب معهم.

ويرى ابن الجزار أنه يجب أخذ الصبيان بالأدب منذ الصغر، لأن العادة طبيعة ثانية حيث يقول أن يؤخذ الصبيان بالأدب منذ الصغر لأنهم أسلس قيادة وأحسن مواتاه وقبولاً، ومن الملاحظ أن ابن الجزار يأخذ فى تربية الأطفال بمبدأ الطبع من التطبع أى أن طبائع الأطفال إما تكون بتطبعهم وتربيتهم. وهذا يعد من المبادئ التربوية الإسلامية.

أما الإمام « الغزالى » فقد اهتم بالتربية الخلقية للطفل واعتبرها على درجة كبيرة من الأهمية، فهى التى تكسبه الصفات الجميلة وتغرس فى نفسه صفات الشجاعة والصبر والتواضع واحترام الكبير والرأفة بالصغير وحسن الاستماع وطاعة الوالدين والمعلمين وغير ذلك من الأنماط السلوكية الحميدة.

ومن هذا المنطلق يلاحظ أن « الإمام الغزالى » اهتم بتربية الطفل أخلاقياً منذ مولده، لذا يوصى بأن « لا يستعمل فى حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال ».

ويتضح من ذلك أن « الإمام الغزالى » اشترط الصلاح فيمن تقوم برضاعة الطفل لأن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، وإذا نشأ الصبى عليه اتعجنت طينته مع الخبث مما يدعو إلى الخوف عليه من أن يميل طبعه إلى الخبث.

ومن أجل حماية أخلاق الطفل من العادات القبيحة والأخلاق الذميمة وتوفير النشأة التى تضمن له السعادة فى الدنيا وتحميه من نار الآخرة فإن « الغزالى » يرى أنه يلزم الصبى:

- حسن المراقبة، وهذه من أول أيامه مع المرضعة، وتستمر المراقبة حتى ظهور أوائل الحياء، ولهذا يقول « الغزالى » فإنه إذا كان يحتشم ويستحى ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه.

وهذا يعنى عند « الإمام الغزالى » أن الصبى بدأ يميز بعض الأشياء ومخالفتها لبعضها البعض وتغيرها، وهذا ما يدل على صفاء القلب والاعتدال فى الأخلاق، فينصح الأهل عند ظهور هذه الحالة باستغلالها أى الاستعانة بها على تأديبه بحيائه وتمييزه.

- الاستفادة من الصفات الطبيعية التى تظهر عليه وتأديبه بواسطتها.

يشير « الإمام الغزالى » إلى ظهور بعض الصفات منذ البداية على الصبى وعلى رأسها مباشرة الطعام، وهذه الصفة يتمنى « الغزالى » على المؤدب أن يوجهها

الوجهـة الطبيعيـة وذلـك بـأن آداب الطعـام والسلوك السليم والاعتـدال والتنظيم ويكون ذلك قولاً وفعلاً، فعلاً بالممارسة والتعود، وقولاً فى تقبيح كثرة الأكل عنده بأن يشبه كل من يكثر الأكل كالبهائم وذم من يكثر الأكل ومدح الصبى المتأدب القليل الأكل.

كما يرى الإمام «الغزالى» أن الأسرة تلعب دوراً واضحاً فى التربية الخلقية للطفل باعتبارها البيئة الأولى التى ينشأ فيها الطفل، لذلك ينصح «الغزالى» الوالد أن يؤدب ابنه وينشئه على ممارسه الأخلاق وأن يحفظه من قرناء السوء، وأوصى الأب بألا يحبب ابنه فى أسباب الرفاهية حتى لا يتعود نعيم العيش فيصعب تقويمه بعد ذلك، وعليه أن يعوده على اللباس المحتشم الوقور، وأن يمنعه من النوم نهاراً، وتعويده الحركة والرياضة، وأن يمنعه من الافتخار على أقرانه بما يملكه هو أو والده، وتعويده التواضع وطيب الحديث وتعويده على العطاء لا الأخذ، حتى ولو كان فقيراً وأن ينهاه عن القسم صادقاً أو كاذباً، وأن ينهاه عن الأعمال الغير مستحسنة كالبصاق والتثاؤب، وأن يعوده على الإقلال من الكلام لا لحاجة، وبقدر ما تتطلبه هذه الحاجة، وأن يخوفه من السرقة، وأكل الحرام وغيرها من الأخلاق المذمومة وأن يعوده على الصبر.

كما يرى أن يكون الأب ممثلاً للرقابة الخلفية عند الطفل فيحفظ هيبة الكلام معه، فلا يوبخه إلا أحياناً، والأم تخوفه بالأب فتزجره عن القبائح، وينبغى أن يعود الطفل الخشونة فى الفرش والملبس والمطعم، وأن يمنع من كل ما يفعله فى خفية فإنه يخفيه وهو يعتقد أنه قبيح، فإذا تعود ترك الخفية تجنب فعل القبيح، ويعود الصبى فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل، ويعود ألا يكشف أطرافه ولا يسرع فى المشى ولا يرخى يديه، ويجب أن يعود آداب

المجالسة والاستماع والكلام، وأن يمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعب والسب، ومن مخالطة من يجرى على لسانه شئ من ذلك.

لقد وضع « الإمام الغزالى » منهجاً تربوياً لتربية الطفل أخلاقياً يتكون من مجموعة من الخطوات تبدأ بالواجبات الأخلاقية التى ينبغى الالتزام بها من حيث الأوامر والنواهى، وهى بالتالى ما ينبغى أن تتوجه التنشئة إلى تكريسه فى حياة الطفل، ثم العوامل الضرورية والمساعدة بالعملية التربوية بصورتها المثلى ثم خطوات العمل التربوى، وهى:

١- الواجبات الأخلاقية:

من الضرورى عند تربية الأطفال مراعاة توجيههم إلى تقصى القيم الأخلاقية الإيجابية أو الفضائل،وأيضاً توجيههم إلى النفور من القيم الأخلاقية السلبية على اختلاف أنواعها، ولهذا يجب على المربى (المعلم) أن يحذر الأطفال من الجشع والطمع والكذب والنفاق واللعن والسب والسرقة والفحش والخيانة، وأن يقوم المعلم بتحبيبهم إلى الصدق والأمانة والإخلاص والتواضع والوفاء والتأدب فى معاملة الآخرين وغيرها من الفضائل المحببة للنفس.

٢- نقاء النفس:

يرى الإمام الغزالى إن النفس البشرية صفحة بيضاء نقية قابلة لكل نقش وكل صورة تعرض عليها، ولهذا فإنه يصف القلب الطاهر للطفل بأنه جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمال إليه، أى أن الإنسان يخلق قابلاً للخير والشر، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد فى الدنيا والآخرة، وإن عود الشر وأهمل شقى وهلك. الأمر الذى يترتب عليه إعطاء التربية أهم دور فى تكوين الإنسان وبناء شخصيته وتحديد معالمها وأبعادها.

من هنا نجد أن الإمام الغزالى نادى كثيراً بضرورة العناية بالأطفال وحسن توجيههم لما أدركه من أهمية التربية ودورها الحاسم فى بناء شخصية الطفل.

والملاحظ أن فكرة نقاء النفس التى نادى بها الإمام « الغزالى » هى الفكرة المحورية التى بنت عليها المدرسة التجريبية الإنجليزية بنيانها الفلسفى، وبهذا المعنى ذاته يقول « جون لوك » (١٦٣٢-١٧٠٤م إن النفس فى الأصل كلوح مصقول لم ينقش فيه شئ، وإن التجربة هى التى تنشئ فيها المعانى والمبادئ جميعاً، ويبدو التشابه بينهما واضحاً جلياً.

وإنطلاقاً من ذلك يمكن القول أن التربية تلعب دوراً هاماً فى بناء شخصية الطفل وصقلها، وبالرغم من أن التربية مهمة وضرورية ومعقدة، لكن يلاحظ أنها يمكن أن تكون سهلة يسيرة، إذا كانت تسير فى الطريق الصحيح حيث إن المربى لا يجد صعوبة بالغة فى توصيل الصواب إلى النفس لأنها تميل إليه بطبيعتها.

٣- ضرورة المعلم:

إنه فى هذا الشأن يقول الإمام الغزالى اعلم أنه ينبغى للسائل شيخ مرب ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته ويحمل مكانها خلقاً حسناً، وهذا يعنى أنه من الضرورى أن يكون للطفل معلماً ومربيا يحسن زرع الفضائل فى نفسه، ونزع الرذائل منها، وهذا يتطلب من معلم الأطفال أن يكون على درجة من الوعى والمعرفة التى تؤهله للقيام بهذا الدور التربوى على أكمل وجه، وأن يكون المعلم متخصصاً وأن تكون لديه القدرة على كيفية غرس الفضائل الحسنة والحميدة فى نفوس الأطفال، وأن يكون فى نفس الوقت قدوة طيبة للأطفال يقتدون به فى أفعالهم وسلوكياتهم.

٤- توظيف العلم:

يرى الإمام الغزالى إن العلم لا يطلب لذاته، وإنما له وظيفة ودور فى حياة الإنسان وهذا الدور يتمثل فى تحسين وتجويد العمل، وإفادة الإنسان فى مختلف مراحل وظروف حياته، من هنا كان من الضرورى تدريب وتعليم الأطفال كيفية توظيف ما يتعلموه فى حياتهم اليومية من الفضائل حتى ترسخ فى النفس، وحتى تكون جزءاً من سلوكياتهم اليومية.

٥- دور القصص:

يـرى الإمـام الغـزالى أن للقصـص دوراً هامـاً فـى غـرس الفضـائل فـى قلـوب الأطفال، وفى دفعهم إلى التخلق بالأخلاق الحسنة والابتعاد عن الأخلاق السئة عن طريق العديد من الوسائل والأساليب.

لـذلك ينبغـى توجيـه الطفـل إلى تعلـيم القـرآن الكـريم، وأحاديـث الأخبـار، وحكايـات الأبـرار وأحـوالهم ليتمـرس فـى نفسـه حـب الصـالحين، ويقتـدى بهـم، ويتخلق بأخلاقهم، وعلى الطفل أن يبتعد عن أخيار الفسق والمجون، وكل ما يثير الانفعالات العاطفية.

٦- القدوة الحسنة:

يرى الإمام الغزالى أنه ينبغى على المربى أن يكون قدوة لمن يقوم بتربيتهم من الأطفال وأن يوافق قوله عمله، وهذا يتطلب من المعلم أن يبدأ بصلاح نفسه أولاً قبل إصلاح الأطفال وتربيتهم.

٧- الحفظ من قرناء السوء:

يـرى الإمـام الغـزالى أنـه ينبغـى حفـظ الصبيان مـن قرنـاء السوء والابتعـاد عنهم، وفـى هـذا الصـدد يقـول ويمنـع الصبى مـن لغـو الكـلام وفحشـه، ومـن اللعـب والسب، ومن مخالطة من يجرى على لسانه شئ من ذلك، فإن ذلك يسرى لا محالة من قرنـاء السوء وخاصـة لأن رفـاق السوء فـى الأغلـب الأعم يفسدون مـن يرافقهم وخاصـة فـى سـنى الطفولـة، وهـذا يتطلـب مـن أوليـاء الأمـور ومعلمـى الأطفـال تـوجيههم إلى تكـوين صـداقات مـع الأطفـال الصـالحين، ومتـابعتهم ومعرفـة مـن يصادقون ومعرفة سلوكياتهم ومراقبتها.

٨- ضرورة المراقبة:

من أجل أن تسير التنشئة الأخلاقية فى مسارها الصحيح، ينبغى أن يقوم المعلم بمراقبـة الطفـل ومتابعـة سلوكه وتصـرفاته وأفعالـه حتـى مـع استمراره فـى سلوك الطريق الصحيح وممارسة الفعل الأخلاقى السليم.

وهذا يعنى أن الطفل مع صفاء نفسه ونقاء قريحته يظل عرضه لمرضه للتغير والتقلب فى أخلاقه تبعاً للبيئة المحيطة به والتى يعيش فيها،حتى ترسخ القيم

الأخلاقية فى نفسه وتصبح جزءاً من جبلته، وهذا مالا يتأتى إلا باستمرار الاتصال مع هذه الفضائل أو القيم الأخلاقية الإيجابية.

٩- التدعيم:

وهذا يعنى أنه يجب أن نكافأ الأطفال عندما يمارسون أفعال أخلاقية حسنة، هذا بالإضافة إلى أنه ينبغى على المعلمين أن يرغبونهم فى القيام بالأعمال الأخلاقية الطيبة والصالحة. كماينبغى عليهم معرفة متى يتغاضون عن الخطأ ولاسيما إن كان غير مقصود أو أن إدراك الطفل خطأ فراح يداريه.

وفى هذا يقول الإمام الغزالى ثم مهما ظهر من الصبى من خلق جميل وفعل محمود فينبغى أن يكرم عليه، ويجازى عليه بما يفرحه، ويمدح بين أظهر الناس. فإن خالف ذلك فى بعض الأحوال مرة واحدة فينبغى أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أن يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولاسيما إذا ستره الصبى واجتهد فى إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يزيده خسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة، ومن الملاحظ أن علماء النفس والتربية استفادوا من ظاهرة التدعيم أو التعزيز فى تفسير بعض الظواهر النفسية ولاسيما التعلم، ومن هؤلاء بافلوف وثورنديك، كلارك هل، والتى نرى فى مجملها أن التعلم على عمومه مرتبط بالتدعيم بنوعيه الأولى والثانوى والذى يفسر أغلب حالات التعليم عند الإنسان هو التدعيم الثانوى الذى يتلخص فى خفض حدة التوتر الناشئ عن دوافع ثانوية كالحاجة إلى التقدير والتشجيع بالألفاظ والمكافآت المادية.

١٠- التقويم:

قدم الغزالى منهجاً رائعاً لتلافى الأخطاء والغلط والانحراف وعلاجها، وقد أخذت بهذا المنهج الأساليب التربوية الحديثة واعتبرته الأنسب فى معالجة أخطاء الأطفال، ولهذا المنهج مراحل ثلاث تتناسب مع التمادى فى الغلط بحيث لا تعالج الأخطاء كلها بأسلوب واحد، وهذه المراحل هى:

أ - **المعاتبة:** تعتبر المعاتبة من أولى المراحل التى تقوم بها أخطاء الأطفال عند بدء تكراره الوقوع فى ممارسة أفعال أخلاقية فاسدة.

ب- **التوبيخ والزجر:** يتبع معلم الأطفال هذا الأسلوب، لأن كثرة المعاتبة يهون عليه سماع الملامة. فينبغى عليه ألا يكثر القول عليه بالعقاب حتى لا يهون عليه ركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه فإذا تمادى فى ذلك فعلى المربى أن يكون حدراً فى التعامل معه، وليكن حافظاً هيبته عند الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً.

ج - **اجتنـاب الضـرب:** ينبغى على المربى أن يسعى إلى اجتناب الضرب قدر المستطاع، فإذا لم يكن من ذلك فليحمل معظم تأديبه بالرهبة ولا يكثر من الضرب والتعذيب، ولهذا يمكن القول أن هاتين الخطوتين من المنهج التربوى الذى وضعه الغزالى وهما التدعيم والتقويم عمل من ا لأعمال التى تضاف إلى آرائه ا لكثيرة والجليلة، بل يمكن القول أن منهجه التربوى بكليته يحمل قيم جليلة لها أثرها فى الفكر التربوى الحديث والمعاصر.

١١- ضرورة الترفيه:

ينبغى أن يضع المربون فى اعتبارهم أن النفس تحاجة إلى بعض الراحة والترفيه بين الحين والحين، حيث إن استمرارية الجد ومواصلة التعب والجهد فى التلقين والتعليم سوف تؤدى حتماً إلى النفور والهروب من ذلك، وربما تورث عللاً أخرى، وفى هذا الصدد يقول الغزالى وينبغى أن يؤذن له بالانصراف من (الكتاب) المدرسة أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب (الكتاب) المدرسة بحيث لا يتعب فى اللعب، فإن منع الصبى من اللعب وارهاقه إلى التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاته، وينغص عليه عيشه حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأساً.

ومن هنا يتضح أن الإمام «الغزالى» يؤكد على توفير البيئة الصالحة للطفل من أجل تربيته تربية أخلاقية سليمة، وأيضاً تعويده العادات الصالحة حتى يمكن

تأصيلها فى الطفل حتى يشب وتنمو معه العادات الطيبة، ولم يكتف بذلك، وإنما أشار إلى أهمية الثواب والعقاب فى التربية الخلقية، وذلك بتشجيع الأفعال المحمودة التى تصدر عن الصبى بالتكريم ومجازاته بما يفرح به الصبى، ويمدح بين الناس، وذلك لتدعيم وتثبيت تلك الأفعال لتصبح عادة وسلوكاً.

ومن الملاحظ أن العلماء المسلمين وضحوا أن التربية الخلقية تمر بمرحلتين رئيستين هما:

- **الأولى:** تسمى مرحلة التخلية وهى تعنى تخليه طبع الطفل من كل رذيلة وإبعاده عن كل مؤثرات الشر والسوء،وعدم مخالطته لقرناء السوء.
- **الثانيـة:** مرحلة التحلية والتزكية. ونعنى تحليه الطفل بالفضائل الكريمة والأخلاق المحمودة عن طريق تشربه لهذه الأخلاق واكتسابه العادات الحسنة من مخالطته للقدوة الصالحة.

ويتضح من ذلك أن المفكرين المسلمين أحسوا بأهمية المرحلة الأولى من الطفولة فى التربية الخلقية، وتعويد الأطفال العادات الخلقية الحسنة من الصغر، واتفقوا على ضرورة العناية بتربية الأطفال تربية كاملة فى أول مرحلة من حياتهم، حيث إن الطفل يأخذ الطابع الذى يلازمه طوال حياته فى السنوات الأولى من الطفولة، وهذا ما نادت به التربية الحديثة.

المربى (المعلم) :

اهتم الفكر التربوى الإسلامى بأمر المعلم الصالح، ولهذا ركز رجال الفكر التربوى الإسلامى على الصفات الحميدة التى تنشأ بين المعلم والمتعلم، إذا كان المتعلم يصاحب المعلم ويصلى معه ويأخذ عنه العلم والأدب وحسن الأخلاق، واشترطوا مصاحبته وأخذ العلم عنه، فالمعلم ثمرة اتصال المتعلم بالعلم.

وانطلاقاً من ذلك يرى « القابسى » أن المعلم أقرب الناس بعد الوالدين إلى الطفل وأن الطفل بطبيعته ميال للمحاكاة يتأثر بمن يخالطهم وينقل عنهم سلوكهم

وتصرفاتهم. ومن هنا جاءت أهمية دوره فى التأثير فى تكوين شخصية الطفل، وهذا يتطلب من المعلم أن يكون قدوة لتلاميذه فى مظهره وحديثه فى عاداته وسلوكه.

وانطلاقاً من ذلك وضع «القابسى» بعض المواصفات لمن يقوم بتعليم الأطفال:

- أن يكون بهم رحيماً ورفيقاً.
- أن يكون معهم عادلاً، وعدم الاعتناء بأحدهم أكثر من الآخر.
- النظر فى صلاحهم وأدبهم، وهذا يعنى أن على المعلم أن يضع طلابه قيد المراقبة من الناحية السلوكية والأخلاقية، حتى إذا رأى اعوجاجاً أو سوء خلق من أحدهم يقومه أو يعزله عن البيئة فى الوقت المناسب.
- متابعة الأطفال فى دروسهم، يضع « القابسى » برنامج عمل من أجل تفقد الأطفال فى دراستهم قراءة وكتابة مثيراً فيهم الحماس والمناقشة محركاً دوافعهم وهممهم.
- تشجيع الأطفال على إقامة العلاقة الحسنة فيما بينهم.
- إيفاء الأطفال حقهم من الوقت والعناية.

وهذا لا يعنى أن أى فرد يقوم بتعليم وتربية الأطفال، وإنما اشترط « القابسى » فى المعلم (اقتصر القابسى على معلمى الكتاتيب) بعض الشروط هى:

- حافظاً للقرآن الكريم، وملماً بالنحو والشعر وأيام العرب.
- أن تتميز شخصيته بالطابع الدينى.
- أن يكون طيب السمعة.
- عدم انشغاله عن تعليم الصبيان.
- عدم طلب الهدايا منهم.

- عدم إرسال تلاميذه فى قضاء حوائجه.

أما «إخوان الصفا» يرون أنه يجب أن تتوفر فى المعلم الصفات التالية:

- أن يكون تام الأعضاء.
- أن يكون جيد الفهم سريع التصور لكل ما يقال.
- أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يسمعه ولما يذكره.
- أن يكون فطناً ذكياً، ذا رأى يكفيه أدنى دليل ليتبين ويستدل على القضية التى يعرفها.
- أن يكون محباً للعلم والاستفادة، منقاداً له، سهل القبول لا يؤلمه تعب العلم، ولا يؤذيه الكد الذى يلحقه.
- أن يكون محباً للصدق وحسن المعاملة.
- أن يكون غير شره فى الأكل والشرب.
- أن يكون كبير النفس عالى الهمة يحب الكرامة تكبر نفسه عن كل ما يشين الأمور.
- أن يكون راغباً فى العلم لذاته، وألا يسيطر عليه حب المال.
- أن يكون محباً للعدل وأهله، وأن يكون غير صعب القيادة ولا جموحاً.
- أن يكون قوى العزيمة على الشئ الذى ينبغى أن يفعل.

أما «ابن سينا» فقد أدرك حسن اختيار المعلم وحسن إعداده علمياً وخلقياً، حيث أن الدور الذى يلعبه المعلم، فى تعليم الصبى يتجاوز حدود عرض المعلومات على الصبى، حيث أن الأطفال لا يتعلمون معلومات فقط، وإنما يكتسبون كثيراً من القيم والأفكار والعادات الطيبة، ولذلك يرى «ابن سينا» أنه ينبغى توافر مجموعة من الصفات فيمن يقوم بتربية الأطفال حيث يقول:

«وينبغى على مؤدب الصبى أن يكون عاقلاً دا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان وقوراً ورزيناً، بعيداً عن الخفة والسخف قليل التبذل والاسترسال يحضره الصبى، غير كز (منقبض الوجه عابس) ولا جامد بل حلواً لبيباً ذا مروءة، ونظافة ونزاهة، قد خدم سراة الناس، وعرف ما يتباهون به من أخلاق السلوك، ويتعايرون به من أخلاق السفلة، وعرف آداب المجالسة وآداب المؤاكلة والمحادثة والمعاشرة».

يتضح مما سبق كما يرى بعض المربين أن «ابن سينا» قد تنبه إلى أن المعلم لا ينقل إلى طلابه المادة العلمية فقط، بل ينقل إليهم ما يؤمن به من قيم وأفكار وما يتحلى به من آداب وفضائل، وهو إن كان يقوم بنقل المادة العلمية بشعور منه وجهد، فإن الطلاب يأخذون عنه آدابه وفضائله بدون شعور منه أو جهد فى عملية التعلم بالاقتداء.

أما ابن مسكويه فيرى أنه من واجب المعلم أن يحرص على غرس القيم الإنسانية وتنمية الخير فى المتعلم وتوجيه استعداداته الكامنة داخل نفسه من أجل أن يحقق الخير للناس، وألا يبخل المعلم بعلمه على أهل العلم أو على تلامذته، حيث إن العلم من وجهة نظره فن لا يستأثر به أحد، فإن أهل العلم يتبادلون علمهم بين بعضهم البعض، ولا يبخل أحد بعلمه على الآخر وخاصة تلامذته، فالعلم مودة ورحمة بين العلماء وبين الدارسين فى نفس الوقت.

ويرى «ابن سحنون» أن من واجبات المعلم ما يلى:

- لا يحل للمعلم أن ينشغل عن الأطفال وهو يعلمهم اللهم فى الأوقات التى تتخلل عمله، فلا بأس من أن يتحدث وهو يتفقدهم وعينه عليهم.
- يجب أن يتفرغ المعلم لتلاميذه.
- ينبغى أن يخصص المعلم لتلاميذه وقتاً لتعليم القرآن.

- لا يجوز للمعلم أن يضرب الصبى على رأسه أو وجهه.
- لا يجوز للمعلم أن يوكل كل تعليم الصبية لبعضهم، بل يجب أن يتولى ذلك بنفسه.
- لا يجوز للمعلم أن ينشغل عن الصبيان بأن يكتب لنفسه أو لغيره.
- على المعلم أن يختبر مدى تقدم الصبيان فى التعليم.
- على المعلم أن يخصص وقتاً معلوماً لمراجعة حفظ القرآن.
- يجوز للمعلم أن يجعل صبيانه على بعضهم بعضاً لأن فى ذلك منفعة لهم.
- يجوز للمعلم أن يؤدب الصبيان إذا آذى بعضهم بعضاً.

هذا بالإضافة إلى أن ابن سحنون يتفق مع القابســـى علـــى أن مـــن واجبات المعلم ما يلى:

- ضرورة مراعاة التناسب بين الصبية عند الجمع بينهم فى الأعمال والطباع فلا يجمع بين الصبيان والمراهقين، ولا يجمع بين الناشئين على السلوك السوى والمتخلقين بالأخلاق السيئة.
- عدم الأخذ بالوشاية وبأقوال الصبيان فى بعضهم، ووجوب مراقبة سلوكهم وأخلاقهم، وطرق معاملاتهم فيما بينهم وأشكال التواصل والتعامل بينهم.
- وجوب التفقد الدائم والمراقبة المستمرة لسلوك الأطفال وتعليمهم.

أما « الإمام الغزالى » فقد أدرك حاجة الطفل إلى المربى القدير الذى يحسن تربيته، ويعتنى بتوجيهه وإرشاده لينشأ نشأة صالحة، لذلك يقول « الإمام الغزالى » فى كتابه (أيها الولد) « أعلم أنه ينبغى للسالك شيخ مريد مرب ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقاً حسناً ».

فالغزالى أدرك الدور الذى يقوم به المعلم فى تربية الأطفال، وهو تربيتهم تربية أخلاقية طيبة، ولذلك يمثل المعلم فى نظره مكانة عظيمة يقول « ومن اشتغل

بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً، فليحفظ آدابه ووظائفه». فالغزالى يؤكد على أهمية الاشتغال بالتعليم، ويعلى من قدر أصحابها ويعظم من شأن وخطر المسئولية الملقاة عليهم، وذلك نظراً للوظائف والأدوار التى يقوم بها. وقد حدد الغزالى الوظائف التى يقوم بها المعلم، ويمكن إيجازها على النحو التالى:

- الشفقة على المتعلمين، وأن يجريهم مجرى بنيه، ولذلك يرى أن حق المعلم أعظم من حق الوالدين، وقد علل ذلك بأن الوالد سبب الوجود الحاضر فى الحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية، وكما يرى أنه لولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم، فالمعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة، ويقصد به معلم العلوم الشرعية والدينية، ولذلك يرى الغزالى أنه أصبح على المعلم أن يساعد تلاميذه على التحاب والتواد والتعاون.
- ألا يأخذ على التعليم أجراً، ولا يقصد به جزاءاً ولا شكراً، وذلك إقتداءاً برسول الله ﷺ، بل يعلم لوجه الله تعالى، وطلباً للتقرب إليه، ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم
- أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً، وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى، ثم ينبه عليه أن الغرض بطلب العلم التقرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة، ويقدم تقبيح ذلك فى نفسه بأقصى ما يمكن.
- من دقائق صناعة التعليم، أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار، وكما يرى أن التعريض يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه، فيفيد مزج التفطن لمعناه- رغبة فى العلوم به ليعلم أن ذلك مما لا يغرب عن فطنته.

- أن التكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه، فمعلم اللغة لا ينتقص علم الفقه، ومعلم الفقه لا ينتقص علم الحديث والتفسير، فهو يرى أن المتكفل بعلم واحد فينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره وإن كان متكفلاً بعلوم أخرى، ينبغى أن يراعى التدرج فى ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة.
- أن يقتصر بالمعلم على قدر فهمه، فلا يلقى عليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله، وهذا يعنى أن المعلم ينبغى عليه أن يراعى مقدار فهم الأطفال، كما ينبغى مراعاة النضج العقلى لهم، وكما يرى أنه لا ينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد، هذا إذا كان يفهمه المتعلم، ولم يكن أصلاً للانتفاع به فكيف بما لا يفهمه.
- أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى المعلم إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه، فإن ذلك يفتر رغبته فى الجلى، ويشوش عليه قلبه.
- أن يكون المعلم عاملاً بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالإبصار، أرباب الأبصار أكثر.

أما «ابن خلدون» فقد أدرك أهمية المعلم ودوره فى العملية التربوية، ولذلك فهو يرى أن المعلم ينبغى أن يكون ملماً بمجموعة من الصفات والمهارات التى تمكنه من عملية إتقان التعليم ومن أهم هذه الصفات ما يلى:

- الإلمام بفن التدريس من حيث الجمع بين الطريقة والمادة، فيكون المعلم متعمقاً فى مادته، ومتمكناً منها، وملماً بطرق تدريسها للناشئة، وهذا يتطلب إلمامه بنفسية المتعلمين ودرجة استعدادهم ومواهبهم.
- القدرة على التدريس اللفظى مع استخدام وسائل الإيضاح اللازمة والمناسبة لتوضيح المادة ووصفها فى مواقف مناسبة تقوم على التدرج والتكرار فى شرح محتوى المادة.

- القدرة على تهديب الأطفال والمتعلمين من خلال المعاملة الحسنة والتفاهم، دونما إفراط، فتكون المعاملة مبنية على توازن فى اللين والقسوة، بما يحفظ على المتعلمين شخصيتهم ونفسيتهم فى الإقبال على التعليم والتعلم بشوق ورغبة.
- استخدام القدوة الحسنة فى التعليم، فيكون المعلم قدوة حسنة لتلاميذه باعتبار القدوة العملية أنجح الوسائل إلى تعليم الأخلاق وغرس أصول الفضائل فى النفوس، فالأطفال يتأثرون بالتقليد والمحاكاة والمثل العليا التى يرونها أكثر مما يتأثرون بالنصح والإرشاد.

ويرى معظم المربين المسلمين أن من صفات المعلم ما يلى:

- أن يكون ورعاً تقياً قائماً بفروض دينه.
- أن يكون على معرفة بأصول دينه.
- أن يحرص على تعليم غيره.
- أن يكون مجيداً للعلم الذى يدرسه، وأن يجيد توصيله لعقول الآخرين.
- أن يكون عاملاً بعلمه.
- أن يجرى المتعلمين منه مجرى بنية فى التعهد بأحوالهم.
- أن يستعلم أسماء طلبته وحاضرى مجلسه وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم وأن يوقر تلاميذه، وأن يعظهم ويحسن خلقه معهم، ويرحب بهم عند لقائه بهم.
- أن يكون وقوراً مع تلاميذه فلا يرفع التكليف بينه وبينهم ولا ينبسط معهم.
- أن يكون رفيقاً بتلاميذه، وألا يعنفهم ولا يحقرهم ولا يستصغرهم.
- أن يوجه المتعلم إلى الفضيلة ويبعده عن الرذيلة بلطف المقال، وأن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن.
- أن يعامل المتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله.

- أن يكون عادلاً بين تلاميذه وأن تكون معاملته لهم سواء دون اعتبار للمكانة الاجتماعية أو الجاه أو السلطان.
- ألا يطيل الحديث ولا يكثر القول فى أمر ما لدرجة الملل والسأم فى نفوس التلاميذ.
- أن يخلص فى تعليم تلاميذه وألا يبخل عليهم بتعليم ما يحسن.
- أن يكون أوسع الناس صدراً وأكثرهم صبراً وأجملهم لقاءاً.
- ألا ينشغل عن تعليم تلاميذه بأى شئ آخر.
- ألا يستخدم تلاميذه لقضاء مصالحه وأغراضه الشخصية.
- أن يكون قدوة حسنة لتلاميذه فى كل شئ.
- أن يكون على فراسة فى التعرف على قدرات المتعلم.

المنهج:

أولى الفكر التربوى الإسلامى منهج تربية الطفل اهتماماً واضحاً، فالقابسى يرى أن الغاية الدينية هى التى تحدد العلوم التى يدرسها الأطفال.

ومن الملاحظ أن المنهج فى نظر «القابسى» ينقسم إلى قسمين هما:

- المنهج الإجبارى ومن مقرراته القرآن الكريم، وبعض النحو والقراءة والكتابة.
- المنهج الاختيارى ويشتمل على الحساب والتعمق فى الشعر وأيام العرب.

ومن الواضح أن «القابسى» يرى أن القرآن أول ما ينبغى أن يدرسوه، بل هو المحور الذى يدور عليه التعليم فى الكتاتيب، والقرآن مرجع العبادات ومصدر الخلق الكريم، وله فضائل عديدة، ويشترط «القابسى» فى تعلم القرآن حسن الترتيل، وجودة القراءة وصحة الوقف والأخذ عن مقرئ حسن، ثم ينصح بقراءة نافع.

ويرى «القابسى» أن تعليم الصلاة فرض عين بل ينبغى أن يعلمهم سنن الصلاة حتى يعلمهم دينهم الذى هو تعبدهم لله ﷻ وسنة نبيهم، ثم يتعلم الأطفال اللغة العربية لفهم المعانى والنحو لإعراب الكلمات إعراباً صحيحاً حتى يميز الأطفال ويعرفوا أغراض المتكلمين.

ولا يقبـل « القابسـى » المتهـاون فـى تعلـيم القـرآن الكـريم باعتبـاره الموجـه والمصدر الأساسى والرئيسى لثقافة الأمة وحياتها، ولا يرى مانعاً من تعليم الناشئة العلم والصنائع التى تساعده على الحياة الكريمة، وبذلك يجمع بين الغرض الدينى وهو التفقه فى الدين والغرض الدنيوى وهو اكتساب العلم وإتقان العمل.

أما « ابن سينا » فقد اهتم بمنهج التربية للطفل، حيث يرى أن هناك منهج معين لمرحلة ما قبل سن السادسة، فهذا المنهج يشتمل على الرياضة والموسيقى، فالرياضة لتربية الطفل ونموه الجسدى والحركى، ولكى يتعلم عن طريقها كثيراً من العادات الخلقية والدهنية، فابن سينا وجه عناية كبيرة للألعاب والتربية الرياضية فى تلك السن وكذلك فى مرحلة التعليم الأولى وهو يكشف لنا عن دور الرياضة فى التربية، وضرورتها فى حياة الطفل، ويبين لنا أن الرياضة تختلف باختلاف الأعمار، وتختلف باختلاف قدرة الطفل.

وإذا كان « ابن سينا » اهتم باللعب والرياضة فى تلك المرحلة فقد اهتم بالتربية الموسيقية، إذ كان « ابن سينا » خبيراً بهذا الفن كمؤلف وكعؤد له فى نفس الوقت، ومن ثم فقد كان خبيراً بما تحدثه الموسيقى فى نفس الطفل من اللذة والطرب والطهر والسمو بجوار تمرين الطفل على إدراك ما فى النغمة من اتفاق وتنافر وحدة وثقل وأسباب ذلك.

يتضح من ذلك أن الرياضة والموسيقى من أهم مواد المنهج فى تلك المرحلة، بل هما الأداتان التعليميتان اللتان تعدان الطفل لتلقى التعليم الأولى والمنتظم فى المرحلة التالية، كما يرجع اهتمام « ابن سينا » بهذين المنهجين فى هذه المرحلة لاهتمامه بالنمو الحسى / الحركى والتربية الخلقية والوجدانية للطفل.

أساليب التدريس:

إن مسئوليات المعلم الملقاة عليه والتى أشار إليها رجال الفكر التربوى الإسلامى تتطلب أن يكون متقناً للطرق التربوية الناجحة عارفاً بالأسلوب الذى يصلح لكل موقف من مواقف العملية التربوية، ولهذا عرف المربون المسلمون كثيراً

من الأساليب التربوية ونصحوا باتباعها، فالقابسى يرى أن من الطرائق التعليمية التى يرشد المعلم إليها عدم نقل المتعلم من سورة إلى أخرى، أو من درس إلى درس، إلا بعد التأكد من إتقانه قراءة وحفظاً وكتابة.

كما يرى أن من الأساليب الابتعاد عن استعمال القراءة الجماعية فى تعليم القراءة، ويحلل « القابسى » ذلك بقوله لأن اجتماعهم فى القراءة بحضرته يخفى عنه قوة الحفظ من الضعيف، ولكنه لا يرى بأساً من القراءة الجماعية إذا كانت تنشط الأطفال.

أما « ابن سينا » فقد أشار إلى التدرج فى التعليم من البسيط إلى المركب، ويرى الاستعانة بالتعليم المحسوس للطفل، وهذا يبدو واضحاً عندما يقول « ابن سينا »: فإذا اشتدت مفاصل الصبى واستوى لسانه وتهيأ للتلقين ووعى سمعه أخذ فى تعليم القرآن وصور له حروف الهجاء ولقن معالم الدين، وينبغى أن يروى الصبى الرجز ثم القصيدة، فإن رواية الرجز أسهل وحفظه أمكن لأن بيوته أقصر ووزنه أخف.

يتضح من ذلك أن « ابن سينا » قصد بذلك ما كان شائعاً فى بلاده من تعليم الخط عن طريق الرسم فى اللوح، إذ كان المعلم يرسم للطفل الحروف الهجائية العربية ويكلف الطفل بحفظ هذه الحروف صوتاً وكتابة حتى يتقن كتابتها والنطق بها، ثم تأتى بعد ذلك المرحلة الأخرى وهى مرحلة تكوين المفردات والجمل، فالتعليم يبدأ بالحروف، وينتهى بالمفردات والجمل، وبعد ذلك يبدأ الصبى فى كتابة لوحه الذى يشتمل على بعض الآيات القرآنية التى يكلف بحفظها.

أما « الإمام الغزالى » فيرى أن طريقة تعليم الأطفال تختلف عن الطريقة التى تتبع فى تعليم الكبار،وقد نادى بهذا الرأى حيث قال: إن من أول واجبات المربى أن يعلم الطفل ما يسهل عليه فهمه لأن الموضوعات الصعبة تؤدى إلى ارتباكه العقلى وتنفره من العلم.

أما أخوان الصفا فيرون ضرورة التدرج فى العلوم. إذ ينبغى عدم إعطاء العلم للمتعلم دفعة واحدة، لكن بالتدريج الذى ارتضوه والترتيب الذى رتبوه للعلوم فى رسائلهم.ومعنى هذا أن تكون هناك معارف سابقة لما يليها من معارف، ولا ينتقل منها المتعلم إلا بعد أن يتقنها، جذب اهتمام التلاميذ إلى المادة المتعلمة وإثارة شوقهم إليها بالوسائل المختلفة من الأمور الواجب مراعاتها، وقام أخوان الصفا بتطبيق هذا المبدأ فاستخدموا الرموز والحكاية على لسان الطيور والحيوانات من قبل التشويق، ضرورة وضوح المادة المتعلمة أمام التلاميذ، والأثر الطيب فى الموقف التعليمى يدفع إلى المزيد من الاجتهاد.

أما ابن جماعة فيرى عدم تطويل المعلم للدرس تطويلاً مملاً أو تقصيره تقصيراً مخلاً، بل يراعى فى ذلك مصلحة التلاميذ. ألا يلقى المعلم إلى تلميذه ما لم يتأهل له لأن ذلك يبدد ذهنه ويفرق فهمه، كما ركز ابن جماعة على أهمية المراجعة والتطبيق فى نهاية الدرس، وذلك لتثبيت المعلومات فى ذهن التلاميذ.وركز على فهم التلاميذ لما يقدمه المعلم من معلومات، وعدم الاكتفاء بحفظها بدون فهم وذلك عن طريق الإعادة والتفكير.

ويرى الزرنوجى أن يكون أسلوب التدريس عن طريق المناظرة والمطارحة، ويرى أن يكون ذلك بالتأنى والتأمل بعيداً عن الغضب.

أما ابن سحنون فيرى أنه لا بأس أن يجعل المعلم تلاميذه يملى بعضهم على بعض لأن ذلك منفعة لهم وليتفقد إملائهم ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة حتى يحفظوها بإعرابها وكتابتها إلا أن يسهل له الآباء.

أما «ابن خلدون» فقد اهتم بأسلوب التدريس. وأهمية استخدام العلم لمختلف الأساليب التى تساعده على تبسيط المادة الدراسية مثل ضرب الأمثلة الحسية، كما أكد على أهمية الرحلات باعتبارها وسيلة لتحصيل الخبرة المباشرة، فالصلة فى طلب العلم تيسر للمتعلم التعرف على كثير من مصادر الخبرة من

الطبيعة كما تهيئ له التعرف على المتخصصين من رجال العلم والمعرفة فى مواقعهم وعملهم.

وقد وضع «ابن خلدون» بعض القواعد الأساسية فى التدريس، من أهمها:

١- التدرج والتكرار، فتعليم الأطفال ينبغى أن يكون قائماً على الإجمال، ثم بعد ذلك بالتفصيل تدريجياً، على أن يراعى المعلم درجة نموهم العقلى واستعدادهم لتقبل ما يلقى عليهم، ويرى «ابن خلدون» أن التكرار مع التدرج يفيد فى توضيح المعلومات وتثبيتها فى أذهان الأطفال ويمكنهم من المهارة فيه والانتفاع به فى الحياة العملية، وهذا يتفق إلى حد كبير مع الاتجاهات التربوية الحديثة.

٢- استخدام الوسائل المعينة، يرى «ابن خلدون» أنه يجب الاعتماد على الأمثلة الحسية فى التدريس، حيث أن الأمثلة الحسية تساعد على فهم ما يلقى عليه، وانطلاقاً من ذلك يمكن القول أن «ابن خلدون» يؤكد على أن الطفل يعتمد فى تنظيم خبراته على حواسه، من هنا فإن هذه الوسائل تكسب التعليم مغزى أوسع وأكبر.

٣- الرحلات، يرى «ابن خلدون» ضرورة الرحلات وأهميتها لأنها تيسر كثيراً من مصادر الخبرة عن الطبيعة، وتوقف الأطفال على مشاهد لها أثر قوى فى توضيح المعلومات وفهمها.

٤- ضرورة اتصال المادة العلمية، يرى «ابن خلدون» أن تكون الدروس التى تلقى على الأطفال فى الدرس أو الموضوع متصلة لأن الانقطاع يؤدى إلى النسيان.

٥- عدم الخلط بين علمين فى وقت واحد، ينادى «ابن خلدون» بأنه يجوز أن يعلم الناشئ علمين فى وقت واحد، إذا كانت رؤية «ابن خلدون» كذلك، فهذا لا يتفق مع اتجاه التربية الحديثة التى تنادى بضرورة تنويع المقررات الدراسية لأن الطفل لا يتعلم الخبرة مجزأة.

٦- ألا يبدأ فى تدريس القرآن الكريم إلا بعد أن يصل الطفل إلى درجة معينة من التفكير. يرى «ابن خلدون» أنه لا ينبغى أن تحمل الطفل على حفظ شئ لا يفهم معناه لأن الفهم شرط أساسى لجودة الحفظ، والطفل بطبيعته عاجز عن الفهم الدقيق لمقاصد القرآن الكريم ومعانى آياته.

كما أكد «ابن خلدون» على طريقة المحاورة والمناظرة والمفاوضة فى المعلومات المختلفة للمعلم باعتبارها الطريقة الصحيحة فى التعليم وتعمل على تحصيل ملكة العلم، كما يعيب على طريقة الحفظ عن ظهر قلب، ويعتبرها مسئولة عن تكوين أفراد ضيقى الأفق عقيمى التفكير لا يفقهون شيئاً ذى بال فى العلم، وقد أشار فى ذلك إلى الطريقة التى اتبعت فى المغرب فيقول فى المقدمة:

«وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلواً من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، ولم يصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة والحذق فى العلوم، وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل العلمية، فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها، فنجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتاً ولا يفاضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من التصرف فى العلم والتعليم، ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل نجد ملكته قاصرة فى علمه إن فاوض أو ناظر أو علم وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايته به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك».

فمن الواضح أن ما أكد عليه «ابن خلدون» من أسلوب المناظرة والحوار يعتبر من أهم المهارات التى لا زالت تستخدم فى التعليم، فالحوار طريقة تربوية تقوم على المناقشة بين المعلم والمتعلم وتستخدم فى تمحيص الأفكار والمعلومات

للتأكد من صحتها أو خطئها وربما بدون الحوار حول أمر مشكوك فيه لدى المتعلم ثم يسير الحوار بطريقة متسلسلة حتى يصل إلى المرحلة اليقينية ويحصل الفهم.

يتضح من ذلك أن رجال الفكر التربوى الإسلامى اهتموا بأسلوب المناظرة والحوار فى التدريس، واعتبروه أسلوباً مفصلاً مجدياً فى التعليم، ولكن رغم ذلك فقد احتاطوا من سوء استخدام هذا الأسلوب، فحددوا بعض الشروط التى تجعل منه أسلوباً فعالاً للتعليم من أهمها: أن يكون هدف المناظرة الوصول إلى الحقيقة لا التضليل وحب الانتصار بالباطل، كما اشترطوا فى المتناظرين الإلمام بموضوع المناظرة والتحلى بالهدوء وسعة الصدر وعدم التكلف.

كما نادى «ابن خلدون» بمراعاة التدرج فى تعليم الأطفال ومراعاة قدراتهم إلا أنه يتميز عن الذين سبقوه فيما ذهب إليه بالقول بمبدأ التكرارات الثلاثة فى عملية التعليم، تشير هذه التكرارات إلى ثلاث مراحل متدرجة فى التعليم، يكون التعليم فى المرحلة الأولى إجمالاً، وفى الثانية تفصيلاً، وفى الثالثة تعميقاً بدراسة ما استشكل فى العلم ووسائل الخلاف فيه، وفى ذلك يقول «ابن خلدون»:

« إن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان قائماً على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً، يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن فى أصول ذلك الباب، ويقرب له فى شرحها على سبيل الإجمال،ويراعى فى ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه، حتى ينتهى إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة فى ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه فى التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفى الشرح والبيان، ويخرج عن الأعمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ويوجهه إلى أن ينتهى إلى آخر الفن فتجرد ملكته ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصاً ولا مبهماً ولا مغلقاً إلا وضحه وفتح مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته هذا وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيته إنما يحصل فى ثلاث تكرارات. وقد يحصل البعض فى أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ولا يتيسر عليه ».

وأشار البعض إلى ذلك: يرى «ابن خلدون» أن العملية برمتها يجب أن تحصل على ثلاث مراحل متعاقبة ينبرى إلى تحديد أهدافها ووسائلها:

- **المرحلة الأولى:** وهى مرحلة تحضيرية هدفها تعريف التلميذ المادة المدرسية وتهيئته لإدراك مشاكلها، ويكتفى هنا إذاً بتقديم عرض عام عن تلك المادة مع التشديد على النقاط الأساسية وينبغى أن تكون الشروحات بسيطة وعامة آخذة فى الاعتبار استعدادات التلميذ للفهم والاستيعاب.
- **المرحلة الثانية:** فإنها مرحلة التعمق يعمد خلالها إلى الإحاطة الشاملة بالمادة دون الاكتفاء بالمعلومات، فالشروحات والتعليقات ينبغى أن تغوص فى عمق المادة، وكما ينبغى عرض وجهات النظر.
- **المرحلة الثالثة:** فهى مرحلة التثبت والترسيخ وصولاً إلى التمكن التام من المادة التى تعاد هنا دراستها كلياً، مع التصدى فى هذه المرحلة لأشهر النقاط تعقيداً وغموضاً.

يتضح مما سبق أن «ابن خلدون» نبه على أحد المبادئ التربوية التى تدعو إلى التدرج من السهل إلى الصعب، والانتقال من معرفة الكل إلى تعلم التفاصيل الدقيقة، وهذا شئ مألوف فى الحياة، حيث أن العقل البشرى يبدأ بإدراك الأشياء العامة أولاً، ثم ينتقل إلى معرفة الجزئيات الصغيرة، ولذلك كان التدرج فى عملية التدريس من القواعد الأساسية والمهارات اللازمة للمعلم.

كما أكد على التكرار باعتباره عملية ضرورية للتأكد من فهم المتعلمين، خاصة وأن المتعلمين يختلفون فى مستوى الفهم، فمنهم من يفهم الدرس من أول مرة.ومنهم من يحتاج إلى إعادة وتكرار مرة أو مرتين وخاصة فى المسائل التى يكتنفها بعض الغموض.

الثواب والعقاب:

نالت قضية الثواب والعقاب فى تربية الطفل اهتماماً كبيراً لدى رجال الفكر التربوى الإسلامى، « فالقابسى » أقر عقاب الأطفال من حيث المبدأ، ولكنه نصح بالرفق معهم تمشيا مع روح الإسلام التى تتسم بالرحمة والعفو، ويرى « القابسى » أن ينزل المعلم من الصبى منزلة الوالد وطالبة بأن يكون رقيقاً به عادلاً فى عقابه غير متشدد فيه من الرفق، وألا يبادر المعلم إلى العقاب إذا أخطأ الطفل وإنما ينبهه مرة بعد أخرى، فإذا لم ينتصح لجأ إلى العقاب، وقد نهى « القابسى » عن استخدام أسلوب الحرمان من الطعام والشراب فى العقاب، بل طلب من المعلم أن يترفق بالصبيان فيأذن لهم بالانصراف إلى تناول الغذاء من طعام وشراب ثم يعودون، كما نهى « القابسى » من الانتقام فى العقاب، ولذا نهى المعلم عن ضرب الصبيان فى حالة الغضب.

وأشار « القابسى » إلى اتباع أسلوب الترغيب والترهيب فى معاملة الصبيان، كما أقر الضرب كعقوبة ولكن بشروط، من أهمها:

- لا يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب.
- أن يكون العقاب على قدر الذنب.

أن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث، ويستأذن من ولى الأمر إذا زاد عن ذلك.

- أن يقوم المعلم بالضرب بنفسه ولا يوكله لواحد من الصبيان.
- أن يكون الضرب على الرجلين ويتجنب الضرب على الوجه والرأس أو الأماكن الحساسة من الجسم.
- أن آلة الضرب هى الدرة أو الفلقة.

يتضح من ذلك أن « القابسى » أقر العقاب، ولكن وضع بعض التحفظات عند عقاب الطفل، ولم يسمح بعقاب الطفل من أول مرة، وإنما يبدأ بنصحه وجعل

الضـرب كعقوبـة أخـيرة وذلـك عنـدما لا تفلـح أسـاليب النصـح والإرشـاد والعـزل والتهديد.

ومـن الملاحـظ أن « القابسى » كمـا وضـع شـروطاً للضـرب، فلـم يغفـل الأداة المستخدمة من الضرب، فقد وضع شروطاً لها، بأن يكون الضرب بالدرة (الفلقة) وأن تكون رخية مأمونة لئلا تؤثر أثراً سيئاً فيقول: « والضرب على التعليم إنما هو لخطأ الصبيان، مما يصلح أن يضربهم به إنما هى الدرة، وتكون أيضاً رطبة مأمونة لئلا تؤثر أثر سوء وقد أعلمت أنه يتجنب ضرب الرأس والوجه فما لهذا يضرب بالعصا واللوح ».

ويرى بعض المربين أن « القابسى » ينظر إلى الثواب والعقاب من زاويتين الأولى كفقيه بأخذه من الزاوية الأولى الشرعية أى ما يجيزه الشرع فى هذا المضمار، والثانية كمرب ينظر إلى الجانب التربوى والتأديبى وما يتوجب على المعلم فيها، وقد وضح ذلك على النحو التالى: فى العقوبة المرفق فيها الأساس ولكن « يستحب للمعلم التشديد على الصبيان »، لأنه هو الناظر فى زجرهم عما لا يصلح لهم والقائم بإكراههم على مثل منافعهم، فعليه أن يسوسهم بكل ما ينفعهم لكن بشرط أن لا يخرج فى ذلك عن إطار الرحمة المفروضة به والمصلحة التى تعود إليهم.

ويتدرج « القابسى » فى العقوبات حيث تبدأ بالعبوس والاستيحاء فى الأوقات المناسبة لتقع فيهم موقع الأدب إلى الضرب (فى بعض الأحايين) بقدر الاستئهال الواجب فى ذلك الجرم، إذا العقوبة يجب أن تتناسب مع الجرم، ليكون لها مردود تأديبى وعقوبة الضرب لا يكون إنزالها بالطفل إلا على جرم تتناسب معها.

أما فى حالة الجرم الكبير فيستحق الطفل بها عقوبة أكثر من ذلك. فلا يجيز « القابسى » للمعلم إنزالها بالمتعلم إلا بعد استشارة أهله وأخذ موافقتهم فى ذلك.

« وتكون بزيادة على ثلاث ما بينه وبين العشرة إذا كان الصبى يطيق ذلك ». أما ما يزيد عن العشرة فلا يجيزه « القابسى » إلا لمن بلغ الحلم، ولمن هو سيئ الرعية، وغليظ الخلق ولا يريعه هذا العدد، إذ يحتاج أكثر ليستقيم.

وإمعاناً من « القابسى » فى تحذير المعلم من الخروج عن الشرع فى التأديب، وكى لا يحمل وزراً وإثماً يسئ للمتعلم، ينبه بأن لا ينزل العقوبة بالطفل وهو غضبان لتكون عقوبته بحدود العقل والشرع من ناحية، وتأتى فى مصلحة الطفل من ناحية أخرى.

أما « ابن سينا » فيرى ضرورة العقاب من أجل تأديب الطفل وتعويده على الصفات الحميدة، فيقول ابن سينا: « من الضرورى البدء بتهذيب الطفل وتعويده ممدوح الخصال منذ الفطام قبل أن ترسخ فيه العادات المذمومة التى يصعب إزالتها إذا ما تمكنت فى نفس الطفل، أما إذا اقتضت الضرورة الالتجاء إلى العقاب فينبغى مراعاة الحيطة والحذر».

ومن الملاحظ أن « ابن سينا » لم ينصح بالعقاب فقط بل يرى أن « المديح والتشجيع أجدى من التأنيب، وبذلك وفق كل حالة خاصة ».

لكن إذا لم يكن المديح والثناء للطفل مجدياً يلجأ المربى إلى العقاب، حيث يرى « ابن سينا » أن احتاج المربى إلى الاستعانة بالعقاب الجسمانى لم يحجم عنه ولا ضرر فى اللجوء إليه سواء يتعلق الأمر بالناحية الخلقية أو الناحية العلمية، المهم ألا يتعود الصبى مفاسد الأخلاق منذ صغره، واللجوء إلى العقاب الجسمانى لا يكون إلا بعد استنفاذ كل الوسائل الأخرى.

وينصح « ابن سينا » المربى أو من يقوم بتربية الطفل فى حالة استخدام العقاب عند الضرورة بالآتى: « أن يراعى المربى بأن يكون منتهى الحيطة والحذر وأن يكون حكيماً فى عقوبته، لا يعامل من يستحقون العقاب من الأطفال معاملة واحدة، وإنما يستخدم العقاب المناسب للخطأ وإلا يلجأ للعنف عند أول خطأ يقع من المعلم بل يستعمل الرفق واللطف، ألا يبالغ فى الضرب حتى لا يؤدى إلى البلادة

وانعدام الألم الذى به يتم الانصراف عن الأفعال القبيحة والسلوك الذى يراد تغييره وعدم تكراره».

ضرورة أن تكون الضربة الأولى موجعة لحسم الموقف والقضاء على ما يكون قد نشأ لدى الطفل من استخفاف بالضرب كعقوبة يمكن احتمالها، كما ينصح بالتدرج فى عقاب الطفل فيرى ألا يؤخذ الوليد أولا بالعنف وإنما بالتلطف ثم تمزج الرغبة بالرهبة، وتارة يستخدم العبوس أو ما يستدعيه التأنيب، لا يلجأ إلى الضرب إلا بعد التهديد والوعيد، وتوسط الشفعاء لإحداث الأثر المطلوب فى نفس الصبى.

أما «ابن مسكويه» فيرى التأكيد على الجانب النفسى للطفل عند الثواب والعقاب، ويؤكد على الجوانب الإيجابية فى النفس، ولهذا فإنه وضع بعض أساليبه لتربية وتأديب الطفل منها المدح حيث يعتبر من أهم هذه الأساليب، إذ أن مدح الطفل على ما يفعل من الامور الطيبة والمقبولة من الكبار، يؤكد على الأمور الحسنة ومنها التشجيع على الترفع عن اشتهاء بعض الأشياء المحببة للنفس مثل المأكل والمشرب والملابس الفاخرة، والتشجيع هنا يكون بتزيين الابتعاد عن هذه الأمور والاكتفاء منها بالضرورى القليل، ومنها أيضاً تحبيب الأخلاق الكريمة إليه مثل إيثار غيره فى المأكل والمشرب على نفسه، والاقتصار على الشئ المعتدل وأيضاً التحذير من العقوبة والتخويف من المذمة على أى قبيح يظهر منه.

أما فى حالة العقاب والترهيب فيرى «ابن مسكويه» أن يكون بالتدريج فإذا خالف الطفل فى بعض الأمور التى ذكرت له ونهى عن اتيانها، ففى هذه الحالة يتم التغافل عما فعله خاصة إذا أدرك هو الخطأ واجتهد فى ستره وإخفائه عن الآخرين، وإذا كان من الضرورى توبيخ الصبى على ما فعل كى لا يعاوده فإن التوبيخ يكون سراً، أما العقوبة البدنية أو الضرب هى العقوبة التى يمكن أن يلجأ إليها المؤدب، إذا لم تنجح الأساليب السابقة وإذا دعت إليه الحاجة.

ويهتم «الإمام الغزالى» أيضاً بأسلوب الثواب والعقاب والتأديب فى تربية الطفل، وفى هذا الصدد وجه العديد من النصائح للمربى، ينبغى اتباعها عندما يقرر عقاب الطفل، ومنها:

- ألا يكون العقاب لكل أمر بل الأفضل التغاضى عن بعض الأمور، إذا خجل الطفل منها وتستر لإخفائها.
- لا يكون العقاب علناً حتى لا يشجع الطفل على تعود الخطأ.
- يجب أن يقل من العقاب حتى لا يتعود الطفل المهانة ويهون عليه سماع اللوم والتأنيب.

ولا يفهم مما سبق أن «الإمام الغزالى» أكد على العقاب فقط لتربية الطفل، وإنما ينصح «الغزالى» بمدح المتعلم وتكريمه على ما يقوم به من أفعال حسنة.

ويشير هذا إلى أهمية الثواب فى تربية الطفل، وعدم اللجوء إلى العقاب إلا فى الحالات الضرورية.

أما «ابن خلدون» فقد تعرض لقضية الثواب والعقاب فى تربية الطفل، وقد تعرض فى مقدمته إلى موضوع الشدة فى التعليم، فيتحدث عن ذلك تحت عنوان «فى أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم»، ويرى أن هذا الأسلوب يصيب الأطفال الصغار بالضرر، ويرى «ابن خلدون» فى هذا الشأن: أن إرهاق الجسد فى التعليم مضراً بالتعليم سيما فى أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما فى ضميره خوفاً من انبساط الأيدى بالقهر عليه وعمله المكر والخديعة لذلك، وصارت له عادة وخلقاً، وفسدت معانى الإنسانية التى له من حيث الاجتماع والتمرن وهى الحمية المدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالاً على غيره فى ذلك بل وكلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها

ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد فى أسفل السافلين. فينبغى للمعلم فى متعلمه والوالد فى ولده أن لا يستبدوا عليهم فى التأديب.

يتضح من ذلك كما يرى بعض المربين أن « ابن خلدون » بوصفه هذا الحال لمن ربى على القهر والشدة من الأطفال قد سبق علماء النفس تبعاً لذلك إلى سوء معاملة المربين من أهل ومعلمين ومنشأ ذلك كله الكبت الذى يحصل فى النفس بسبب القهر والشدة فى المعاملة.

ومن الملاحظ أن « ابن خلدون » افترض أن طبيعة نفس الطفل إنسانية مشرقة منبسطة ذات نشاط وفعالية، تنزع إلى الحجة والتمدن والخلق الجميل. ولهذا فإنه يرى استخدام الثواب والعقاب لتكوين دوافع المتعلم، ولهذا وضع بعض الشروط التى ينبغى مراعاتها فيمن يقوم بتربية الطفل، وهى:

- أن يلجأ المربى للثواب والعقاب بحكمة وعناية بالغتين.
- عدم الشدة والقهر عند عقاب الطفل لما يترتب على اتباع هذا الأسلوب من آثار سلبية منها إذلال نفسية الطفل ويذهب نشاطه وعقله المتفتح ويؤدى به إلى الكسل والكذب لا ليتجنب العقاب.
- ألا يلجأ المربى إلى استخدام أسلوب العقاب إلا بعد استنفاذ جميع وسائل الترغيب والترهيب.
- أن يقدم العقاب فى صورة توجيه وإرشاد بأساليب عملية تساعد الطفل على تجنب أخطائه أو الاستمرار فيها.

وهذا يمكن القول أن المربين المسلمين أقروا مبدأ العقاب للطفل، لكنهم طالبوا الرفق به تمشياً مع روح الإسلام التى تتسم بالرحمة والعفو، وعدم مبادرة المعلم بالعقاب إلا إذا أخطأ الطفل، والمطلوب أن يقوم بتنبيهه مرة تلو المرة فإذا لم يستجب الطفل للنصيحة لجأ المعلم إلى العقاب.

كما اشترط المربون المسلمون فى العقاب استخدام أسلوب الحرمان من الأكل والشرب لما له من أثر على صحة الطفل فى هذه المرحلة. وأقروا الضرب كعقوبة ولكن بشروط، منها:

- لا يجوز ضرب الأطفال قبل العاشرة.
- لا يجوز ضرب التلاميذ الذين تقدمت أعمارهم.
- ألا يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب وللضرورة القصوى ولا يكثر فيه.
- أن يكون العقاب على قدر الذنب وعدم التشفى.
- أن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث، ويستأذن ولى الأمر فيما زاد عن ذلك.
- أن يقوم المعلم بالضرب بنفسه ولا يوكل غيره من الصبيان.
- أن يكون الضرب على الرجلين ويتجنب الضرب على الوجه والرأس أو الأماكن الحساسة من الجسم.
- أن تكون آلة الضرب هى الدرة وأن يكون عودها رطبا.